استراتيجيّة الأمن الثقافيّ

في خطاب السيد علي الخامنئي دام ظله

استراتيجيّة الأمن الثقافيّ

في خطاب السيد علي الخامنئي دام ظله

ليلى زغيب

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-324-2

[٢٠٢٤م - ١٤٤٥هـ]

العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - mail: almaarf@shurouk.org

تصميم الغلاف:
زينب الزين

إخراج فني:
ماجد مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة ٩

الفصل الأول: الأمن الثقافيّ: الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع ٣٥

الفصل الثاني: نظرية الأمننة ٦١

الفصل الثالث: الهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ٨٣

الفصل الرابع: أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ١٤٧

الخاتمة ١٩٣

المصادر والمراجع ٢٠٣

الفهرس التفصيلي ٢١٥

المقدّمة

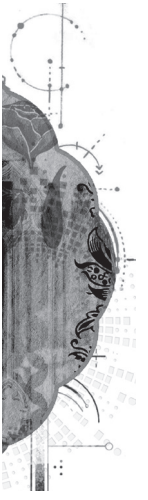

شَكّلَت نهاية الحرب الباردة منعطفًا تاريخيًا أدخل العالم في بيئة دوليّة جديدة تجاوزت الاتّجاه التّقليديّ في تحليل الأمن من منظور القوّة العسكريّة، وتطوّرت نحو اتجاه جديد يشمل تحليل ظواهر أكثر اتساعًا وعمقًا. أسّست التحوّلات إلى ثورة معرفيّة طالت مختلف التخصّصات، وكـان أهمّها حقل الدراسات الأمنيّة الذي أعاد التفكير في مفهوم الأمن من خلال توسيع قطاعاته وتعميق مستوياته إلى حدّ اعتبار «هويّة المجتمع» وحدةً مرجعية في إطار الأمن، بعدما كانت محصورة في الدولة فقط، وباتت «الثقافة» إشكاليّة أمنية في ظل محاولة القوى العالمية فرض الهيمنة والتنميط الثقافيّ على شعوب العالم من جهة، وازدياد تدفّق المهاجرين والصراعات العرقية في الدول الغربية من جهة أخرى. واقعٌ دفع بالدّول إلى اعتبار «الأمن الثقافيّ» أحد أهم قطاعات الأمن القومي الذي تشكّل فيه القوةُ الناعمة البنيةَ التحتيّةَ والجوهرَ الأساس لمواجهة التهديدات الثقافيّة، وتحوّل إلى مطلب وضرورة بهدف الحفاظ على ثقافة المجتمع وهويته وتحصينه من محاولات الاختراق الثقافيّ أو الاستلاب الحضاري. وعلى هذا الأساس، دخلت القوة الناعمة التي تشكل فيه الثقافة الجوهر الأصيل جدول أعمال السياسة العالمية كونها أحد

أبعاد وزوايـا القوة والتفوق للدول، إلى جانب القوتين العسكرية والاقتصادية.

تُولي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة منذ تأسيسها أهميةً قصوى للأمن الثقافيّ كونه يُشكّل شرطًا أساسيًا لاجتياز الجمهوريّة مسيرتها التكاملية نحو بناء الحضارة الإسلاميّة، في ظل تربّص العدوّ للتسلّل من أي ثغرة لتوجيه ضربة لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة ومحاولاته المستمرة في تشويه صورته أمام الرأي العام ودفعه للتشكيك بمصداقيته، فضلًا عن سعيه الدائم لمحق قيم الثورة الإسلاميّة وشعاراتها.

منذ انتصار الثورة الإسلاميّة، وعَى قائد الثورة الإسلاميّة السيد علي الخامنئي محاولات العدوّ في استهداف ثقافة الثورة، معبّرًا عنها بـ«الغزو الثقافيّ» و«الإغـارة الثقافيّة»، مقترحاً سلسلة من الاجـراءات لتحصينها. وبِلِحَاظ التّغيّرات الإستراتيجية في موازين القوى، وانكفاء الخيار العسكري أمام تفضيل خيار «الحرب الناعمة» لضرب الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ونظامها وقيمها، أدرج السيد الخامنئي مصطلح «الحرب الناعمة» في خطاباته، منظّرًا لها وكاشفًا أساليب المخططين لها وأدواتهم. كان لافتًا استخدام الخامنئي مصطلحات خاصة بالحرب العسكرية في حديثه عن الحرب الناعمة، فَحَضَرَت مفردات كقبيل «الدفاع» و«الهجوم» و«الردع» و«النصر» و«الحسم»، وهي مصطلحات بدورها تدفع ضمنًا المسؤوليين الثقافيّين والجهات المعنية نحو التفكير في تحقيق «الأمن الثقافيّ»، وهذا ما يجعل من السيد الخامنئي فاعلًا أساسيًا في أمننة القضية الثقافيّة التي تستوجب اتّخاذ تدابير وإجراءات حاسمة من المسؤولين والجهات المعنية.

تباعًا، ساهَم تكرار السيد الخامنئي لمسألة الثقافة وتحديّاتها وسبل مواجهتها في خطاباته أمام المؤسسات والجهات النخبوية على مدى ثلاثة عقود

ونيّف بالانتقال من مرحلة أمننة الثقافة وخلق الوعي بأهميتها إلى مرحلة أكثر تطوّرًا يُعبّر عنها بـ«مأسسة الأمننة»، حيث يُجعل من القضية المطروحة جزءًا أساسيًا من السياق الروتيني في المؤسسات والممارسات المؤسّساتية المعنيّة بإيجاد السياسات والإستراتيجيات الدفاعية لتحقيق «الأمن الثقافيّ». وبالتالي، تطوّر خطابه من كونه خطابًا أمنيًّا يستدعي حالة الطوارئ إلى خطاب استراتيجي يتضمّن رؤية إدارية استراتيجية شفاهية لتحقيق الأمن الثقافيّ.

وطالما أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة تطمح إلى بناء الحضارة الإسلاميّة وتسعى لانتشارها بين شعوب العالم للوصول إلى صورتها الأكمل، يبدو لزامًا التفكير في استراتيجية أمنية ثقافية تلحظ البعد التفاعلي بين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والشعوب الطامحة إلى التحرّر من الهيمنة الغربية، بما يضمن انتشار القيم الثورية ويحصّن هويّة الشعوب الثقافيّة، الشرط الأساس لمواصلة المقاومة ضد الاستكبار العالمي.

شكّل العقد الأخير من الزّمن تحدّيًا كبيرًا لكلّ من نظام الجمهوريّة الإسلاميّة ومحور المقاومة على حدّ سـواء. تمظهرت التّحديات في مواجهات عسكرية وتحدّيات سياسية وعقوبات اقتصادية، وظّف فيها العدوّ كل إمكانياته وأدواتـه للقضاء على «وجود» المقاومة ،وأدار كل شبكاته الاعلامية لتشويه ثقافة المقاومة والتشكيك في مشاريعها وتحريض البيئة الشعبية عليها. وإن كان يُسجّل اليوم لمحور المقاومة أعلى درجات الجهوزية في ميدان الحروب العسكرية، وصولًا إلى تحقيقها إنجاز «الرّدع الإستراتيجي»، بات التفكير في تحقيق «الأمن الثقافيّ» ضرورةً ملحّة لحفظ نهج المقاومة وتحصين شعوبها من الاستسلام، خاصة في ظل انعدام الأمن السياسي والاقتصادي وسهولة التسلّل من هاتين البوابتين للتصويب على مشروعية المقاومة وأهميتها في ظل الرّدع العسكري مع العدوّ.

نُحاول في هذا البحث تبيان دور خطاب السيد علي الخامنئي في أمننة القضية الثقافيّة وكيفية تحويلها إلى قضية ذات أولوية في الأطر المؤسساتية والأجهزة المعنية، سعيًا نحو تحقيق الأمن الثقافيّ، كما نسعى إلى بناء نموذج «استراتيجية الأمن الثقافيّ» وفق رؤيته المعبّر عنها شفاهيًا في الخطابات، باعتبارها استراتيجية تخصّصية ضمن الإستراتيجية الكبرى للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة السّاعية نحو تحقيق الحضارة الإسلاميّة.

ويهمّنا في هذا الإطار أن نُشير إلى أننا حرصنا في بحثنا على المحافظة على مصطلحات السيد الخامنئي كما وردت في الخطاب خلال عملية بناء الإستراتيجية الخاصة بالأمن الثقافيّ وتسمية عناصرها وتوضيح مفاهيمها، وهذا من شأنه أن ينتج استراتيجية أمنية تلحظ الخصوصية الثقافيّة والفكرية للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة من جهة، ويسلّط الضوء على ميزة قائدها الأعلى وحرصه على طرح تسميات جديدة أو ما اصطلح عليه شخصيًا بـ« صياغات اصطلاحية» تناسب أفكار الجمهوريّة الإسلاميّة ومتبنّياتها الأساسية للحركة الثورية الإسلاميّة ولرؤيتها في بناء حضارة إسلاميّة، وهي خطوة محورية تندرج ضمن مسار إنتاج المعرفة التحرّرية الملازمة للحركات التحررية والثورية والتي تنتهي بالتأسيس النظري لتجربة الحركات والشعوب والدول التحرّرية في العلوم الإنسانية والحقول المعرفية الأخرى[١].

(١) يقول السيد الخامنئي في هذا الإطار: «من الأمور الواضحة في كل حركة عامة، وفي كل نهضة أن توضع بناءً على الأفكار والمتبنّيات الأساسية لتلك النهضة أو لتلك الحركة صياغات اصطلاحية خاصة بها من جهة، وأن تكون لها تشكيلاتها الخاصة من جهة أخرى. فعندما يطرح فكر جديد مثل فكر الحكومة الإسلاميّة والنظام الإسلاميّ والصحوة الإسلاميّة فإنه يلقي إلى المجتمع مفاهيم جديدة. ولهذا ينبغي أن يكون لهذه الحركة ولهذه النهضة ما يناسبها من اصطلاحات. فهي إن استعارت لنفسها مفردات واصطلاحات أجنبية، فإن الأفكار تتشابك ويبقى الموضوع طيّ الغموض».

يُصنّف البحث ضمن البحوث النوعية التحليلية التي تعتمد على توصيف الظاهرة موضوع البحث، وإيجاد تفسير للعلاقات القائمة بين عناصرها. اعتمدنا على المنهج المسحي الوصفي النوعي، وتحليل المضمون كأداة علمية دون الغوص في الأرقام والإحصاءات؛ كونها لا تقدّم لنا أي إفادة علمية للإجابة على إشكالية البحث.

يتألّف البحث من قسم نظري وآخر تطبيقي؛ يحوي القسم النظري فصلين اثنين، بيّنا في الفصل الأول دور الهويّة الثقافيّة في صراعات القرن الواحد والعشرين، وكيفية تحوّلها إلى رهان أمني في العلاقات الدولية، كما عرّفنا الأمن الثقافيّ واستخلصنا أهم عناوين ومحدّدات استراتيجيات الدول لتحقيق الأمن الثقافيّ من مجموعة دراسـات وأبحاث تناولت موضوع الأمن الفكري والأمن الثقافيّ.

وفي الفصل الثاني، وضّحنا نظرية الأمننة، مفاهيمها وأهم عناصرها، وسياق تشكّلها، وأبرز الخلاصات والنتائج التي توصّلت إليها مدرسة كوبنهاغن في دراستها لمفهوم الأمن ودور الخطاب في عملية الأمننة.

أما القسم التطبيقي من البحث، فقد جاء في الفصلين الثالث والرّابع. أوضحنا في الفصل الثالث سياق تحوّل الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكيّة والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة من إطاره العسكري إلى إطار الحرب الناعمة، واستعرضنا بشكل موجز أبرز أهداف الحرب الناعمة وأدواتها وأساليبها كما جاء في خطاب السيد الخامنئي. وفي سياق متّصل، حدّدنا الآليات التي وظّفها السيد الخامنئي في إعادة بنائه الإستراتيجي للهويّة الثقافيّة، واستخلصنا من هذه العملية مجموعة خصائص للهويّة الثقافيّة على مستوى علاقتها بذاتها وبالآخر.

وفي الفصل الرابع، توصّلنا إلى تحديد آليات وأساليب السيد الخامنئي في أمننة القضيّة الثقافيّة من خلال تحليل تصريحاته حول الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة الموثّقة في مجموعة «سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي» الصادرة عن دار المعارف الحكمية، وبعض الكتب المرجعية عن رؤيته في مواجهة الحرب الناعمة، وكتب أخرى صادرة عن مؤسسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث[١]. كما استطعنا بناء نموذج لاستراتيجية الأمن الثقافيّ عبر تفكيك خطابه، وإعادة هيكلة المفاهيم المستخلصة منه، وضمّها ضمن عناوين شكّلت العناصر الأساسية لرسم استراتيجية أمنية وإعـادة تسميتها وفق المفاهيم التي صاغها السيد الخامنئي في الخطابات.

أهمية البحث

نظرًا لما تشهده الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة من حملة إعلامية عالمية مُمنهجة ضد قيادتها ونظامها الإسلاميّ وثقافتها وقيمها الإسلاميّة الثورية، يبدو من الضروري تسليط الضوء على الأمن الثقافيّ والإستراتيجيات اللّازم اتباعها لردع الأعداء عنها من جهة، وتحصين جبهتها من جهة أخرى، عبر تعزيز نقاط قوتها ومعالجة مكامن ضعفها، وصولًا إلى تحقيق هدفها الإستراتيجي المتمثّل ببناء الحضارة الإسلاميّة وانتشارها بين شعوب العالم.

---

(١) الكتب التي خضع محتواها لتحليل محتوى، إلى جانب سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي الصادرة عن دار المعارف الحكمية هي التالية:
معرفة الحرب الناعمة من وجهة قائد الثورة الإسلاميّة للكاتب علي محمد نائيني، من إصدار دار المعارف الحكمية. وكتاب آخر عنوانه **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، من إصدار مركز قيم للدراسات. وكتب أخرى، صادرة عن مؤسسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث وهي التالية: **معرفة العدو، نظرية المقاومة ، العهد العالمي الجديد.**

ولمّا كان الأمن الثقافيّ الشرط الأساس لضمان وصول الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إلى بناء الحضارة الإسلاميّة وتقديمها كنموذج لجميع شعوب العالم، تـزدادُ أهميّة الحديث عن الأمـن الثقافيّ للجمهورية الإسلاميّة في المرحلة التاريخية والمفصلية، حيث يشهد فيها العالم سلسلة تحوّلات تستحوذ على اهتمام الباحثين والمفكرين الغربيين، وتثير تساؤلات جدّية تبدأ بالحديث عن نهاية زمن هيمنة أمريكا على العالم، ولا تنتهِ بالكشف عن سلسلة تحدّيات وأزمات تهدّد مستقبل الحضارة الغربية ككُلّ مقابل التنبّؤ بفرص كبيرة للحضارة الإسلاميّة في استعادة مكانتها في العالم من بوابة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ومحور المقاومة.

تكمُن أهميّة البحث على المستوى النّظري في كونه محاولة ضمن مسار إنتاج نماذج من المعرفة التحرّرية في الحقل الثقافيّ، حيث نبيّن فيه تجربة دولة كالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في مقاومة الهيمنة الثقافيّة وإفشال محاولات القوى الاستكبارية باستهداف هويتها وتهجينها وتفكيك رموزها وإفراغها من جوهرها، وذلك انطلاقًا من خطاب قائد الثورة الإسلاميّة في إيران السيد علي الخامنئي، مع الالتزام بالمحافظة على المصطلحات كما وردت في خطاب السيد الخامنئي خلال بنائنا نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة المأمول في تحقيق الأمن الثقافيّ، مراعاةً لأصالة المادة المبحوثة.

أما على المستوى العملي، نحاول من خلال هذا البحث نمذجة استراتيجية الأمن الثقافيّ لمواجهة التحديات الثقافيّة وتعميمها على محور المقاومة مع الوعي الكامل بضرورة إعادة كل طرف من أطراف المحور لهندسة الإستراتيجية بلحاظ خصوصيته الثقافيّة وسياقه الجيوسياسي، وكذلك مواقعه في السياسات الدولية.

أهداف البحث

١. تبيان دور الهويّة الثقافيّة في صراعات القرن الواحد والعشرين، وكيفية تحوّلها إلى رهان أمني في العلاقات الدولية.

٢. تبيان دور خطاب السيد الخامنئي في إعادة بناء استراتيجي للهويّة الثقافيّة، عبر هندستها شفاهيًا على مستوى الخصائص، وإعطائها معانيَ ودلالات ووظائف في سياق الصراع الثقافيّ.

٣. التعرّف على آليات السيد الخامنئي في أمننة القضية الثقافيّة

٤. بناء نموذج استراتيجية الأمن الثقافيّ وفق رؤية السيد الخامنئي

مفاهيم البحث

يهدف هذا المبحث إلى توضيح مجموعة من المفاهيم الأساسية التي نناقشها في البحث، وقد اعتمدنا في تعريف هذه المفاهيم على منهجية موحّدة تقوم على أساس تقديم التعريف المتفق عليه علميًا في الحقول الأمنيّة والثقافيّة بدايةً، ثم عرض طرح السيد الخامنئي الخاص حول هذا المفهوم إن وجد.

١- الأمن الثقافيّ:

«الأمن الثقافيّ» مفهوم مركّب يستلزم من الناحية المنهجيّة تعريف الأمن والثقافة كلّاَ على حدة، على أن نقدّم بعدها التعريف للمفهوم المُركّب من الناحية العلمية، ثم طرْح السيد الخامنئي الخاص حول المفهوم.

١) الأمن:

يعتبر مفهوم الأمن من المفاهيم المركزية في حقل العلاقات الدولية عمومًا، والدراسات الأمنية خصوصًا. الأمن في المعاجم اللّغوية هو «مرادفٌ للطمأنينة ومقيّضٌ للخوف ومساوٍ لانتفاء الخطر»، أما في حقل الدراسات السياسية، فيرتبط مفهوم الأمن بالدولة، بحيث يعرّفه والتر ليبمان على أنه حينما لا تحتاج الدولة للتضحية بمصالحها لتجنّب الحرب، وقدرتها على حماية هذه المصالح في حالة نشوب الحرب[١].

عرّف باري بيوزان، وهو أحد روّاد مدرسة كوبنهاغن[٢] الأمنية، الأمن بأنّه «التحرّر من الخوف والتهديد، وقدرة المجتمعات في الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية[٣].

---

(١) خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٧-٨.

(٢) هي التسمية التي أطلقت على الأجندة البحثية لمختلف العلماء والباحثين الأكاديميين بمعهد كوبنهاغن لأبحاث السلام Copenhagen Peace Research Institute في الدانمارك والذي تأسس عام ١٩٨٥. تبنّت مدرسة كوبنهاغن اتجاهًا رافضًا للتصوّر التقليدي للأمن الذي يحصر الأمن في القوة والإمكانيات العسكرية للدولة، مؤسسة بذلك مسارًا خاصًا في الدراسات الأمنية يعاود التفكير في مفهوم الأمن وتوسيعه من خلال تقديم إطار تحليلي أو أجندة أمنية أكثر اتساعًا وانفتاحًا على قطاعات ووحدات مرجعية مختلفة، استجابة للتحوّلات التي شهدها العالم ما بعد الثنائية القطبية، وما فرضته من تهديدات جديدة على الدولة والمجتمع معًا. استحدثت مدرسة كوبنهاغن إسهامات نظرية مهمّة وأدوات تحليلية جديدة لفهم الديناميات الأمنية ودراسة الظاهرة الأمنية بكل تعقيداتها، أهمّها: قطاعات الأمن sectors، الأمن المجتمعي، نظرية الأمننة، الأمن الاقليمي المركّب (Williams, P., *Security Studies An Introduction*, p. 68.)

(٣) سمير حمياز، «نحو هندسة استراتيجية فعالة لحماية الأمن الثقافيّ العربي في زمن الرقمنة»، ص ١٣٦.

٢) الثقافة:

شهد مصطلح الثقافة تطوّرًا في تحديد مفهومه وماهيته، وحاز على عدد كبير من التعريفات، حيث تقدّر بعض المراجع بلوغ المفهوم أكثر من ١٦٠ تعريفًا طرحها علماء من تخصّصات علمية مختلفة ومتنوّعة. اكتسبت كلمة ثقافة culture معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

اقتُبس مصطلح الثقافة في اللغة الأجنبية من الفرنسية والذي كان يعبّر حينها في القرون الوسطى عن الطقوس الدينية cultes، ثم تطوّر في القرن السابع عشر ليشير إلى «فلاحة الأرض». وفي القرن الثامن عشر، اتّخذ المصطلح منحىً يعبّر عن التكوين الفكريّ والتقدّم الفكري للشخص، وعمّا يتطلّبه ذلك من عمل وما ينتج عنه من تطبيقات.

بعد ذلك، انتقلت الكلمة إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أكسبها قبل رجوعها إلى فرنسا مضمونًا جماعيًا، عبر ربط التقدم الفكري بالجماعات أو بالمجتمع الإنسانيّ بصفة عامة، أما الجانب المادي، فعبّرت عنه الألمانية بمصطلح «الحضارة»[١].

ولكن يبقى تعريف الأنتربولوجي الإنكليزي إدوارد تايلور الذي قدّمه عام ١٧٨١ في كتابه «الثقافة البدائية» الأكثر ذيوعًا، يذهب فيه إلى تعريف الثقافة بالتالي: «... الثقافة أو الحضارة بالمعنى الاتنوغرافي الواسع هي كل مركّب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون

(١) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٦٠.

والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معيّن»[١].

في أوائل السّتينات، قدّم روبرت بيرستد تعريفًا آخر للثّقافة جاء فيه: «هي ذلك المُركَب الذي يتألَف من كل ما نفكّر فيه، أو نقوم بعمله أو نتملّكه كأعضاء في مجتمع»، إلى ذلك طرَح غي روشيه تعريفًا أكثر شمولًا قدّمه على الشكل التالي: «الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل، هي طرق صيغت تقريبًا في قواعد واضحة اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص، تُستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آنٍ معا»[٢].

أمام كثرة التعريفات المقدَّمة لمفهوم الثقافة، اتجهت منظمة اليونيسكو إلى طرح تعريف جامع للثقافة، فأصدرت في مؤتمرها العالمي المنعقد في نيومكسيكو عام ١٩٨٢ التعريف التالي: «الثقافة بمعناها الواسع هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميّز مجتمعًا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الإرث الاجتماعي، ومحصلة النشاط الذهني والروحي، والفكر الأدبي والقيمي، ويتجسّد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلّم القيم والحسّ الجمالي أي هي الامتداد المتنوّع لجميع أنـواع المعارف والخبرات الإنسانية»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٣) رشيد يلوح، **التداخل الثقافيّ العربي - الفارسي، من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري**، ص ١٦.

٣) الأمن الثقافيّ:

قدّم أولى ويفر، وهو أحد أهم روّاد مدرسة كوبنهاغن، تعريفًا لمفهوم الأمن الثقافيّ، جاء فيه: «الأمن الثقافيّ هو قدرة أي مجتمع في الحفاظ على هويته وثقافته في مواجهة الظروف والمتغيّرات والأخطار الحقيقية المحدقة به»[١].

الأمن الثقافيّ في فكر السيد الخامنئي:

يولي السيد الخامنئي أهمية بالغة للثقافة؛ ربطًا بدورها المحوري والمفصلي في الحفاظ على مصائر الشعوب ومستقبل الحضارات من جهة، ولكونها «عاملًا أساسيًا في تحديد السلوكيات الفردية والاجتماعية للبلد والأمة، وموجّهًا للتأثيرات والآثار السياسية»[٢]، من جهة أخرى.

جاء في تعريفه الخاص للثقافة بأنها «تشمل عقائد الناس وإيمانهم وعاداتهم وما يمارسونه في حياتهم اليومية»[٣]، مَضيفًا بأنّها «تلك الروحية والمعنويات والأخلاقيات التي تدفع الإنسان للعمل»[٤]. وفي تبيانه لمكانة الثقافة وأهميتها في المجتمع، صوّرها بأسلوب بلاغي قائلًا إنّها بـ «مثابة الروح من الجسد»[٥]، و«بمثابة الهواء الذي نتنفّسه»[٦].

---

(١) بثينة الخالدي، «هل الأمن الثقافي استراتيجية دفاعية؟ التعليم في تونس نموذجًا»، في: **الأمن الثقافي، دراسات وأبحاث**، ص ٤٩٧.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٣.

(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٤/٠٣/٢١.

(٤) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/٠٩/١٦.

(٥) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٣/٠١/٢٧.

(٦) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٤/٠٣/٢١.

أما بالنسبة لمفهوم الأمن، فيُعرّفه السيد الخامنئي على أنه «مفهوم يشير إلى الاستقرار النفسي الفردي والاستقرار الاجتماعي العام»، وبِحَسَبِه تكمُن أهميّة الأمن في أنّه «واحد من أركان تقدّم وتطور البلاد الأساسية، وبانعدامه تنعدم إمكانية القيام بالفعاليات الاقتصادية والثقافيّة والسياسية»[١].

وعند المقارنة بين التعريفين المقدَّمين من السيد الخامنئي للأمن والثقافة يتبيّن أنهما يشتركان بخاصية أساسية، وهي ارتباطهما بأبعاد ومجالات حياتية متعدّدة، بانعدامهما تتوقف الحياة والتطوّر. من هنا، كانت مسألة الثقافة مُلازمة دائمًا لمفردة الدّفاع واليقظة والبصيرة في خطابات السيد الخامنئي؛ كونها تشكّل جوهر وروح شعارات الثورة الإسلاميّة القائمة على مفردات الاستقلال والاقتدار والعزّة الوطنية. وبناءً على تصوّر السيد الخامنئي، يصبح «الأمن الثقافيّ» واحدًا من قطاعات الأمن القومي، إلى جانب قطاعات أخرى منها الأمن الاجتماعي والمدني والسياسي، خاصةً مع حديثه المتكرّر حول مخططات العدو في استهداف ثقافة الثورة التي اصطلح عليها في فترة سابقة بعنوان «الغزو الثقافيّ»، وفي فترة لاحقة «الحرب الناعمة».

٢- الهويّة الثقافيّة:

مفهوم مركّب من مصطلحين «الهويّة» و«الثقافة» تقوم فيما بينهما علاقة جدلية انقسمت آراء الباحثين والمفكرين في دراسة ديناميكيّاتها بين تيارين: التّيار الأول تحدّث عن أسبقية الثقافة على الهويّة ودورها في عملية بنائها وإعادة بنائها من جديد ضمن صيرورة ديناميكية دائمة

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٠٤، في يوم القوى الأمنية.

تودّي فيها اللغة والتاريخ والثقافة، فضلًا عن الأرض والإثنية والدين وعمليات المثاقفة، دورًا مهمًا في بناء أبعادها من جهة، وتحديد مساراتها من جهة أخرى، وكما يؤكد أن الهويّة الثقافيّة نتاج ديناميكي متغيّر لا نهاية له يتغيّر بتغيّر الوقائع والمواقف الاجتماعية[١]؛ أما التيار الآخر، فيرى في الهويّة الثقافيّة معطىً ثابتًا تعمل بنمط البصمة، حيث تنطلق من أساس حصر الهويّة الثقافيّة بالإرث الثقافيّ الذي يؤدّي إلى إمكان بناء صور بيانية للسمات والأنماط والوظائف والتصرفات الفردية والجماعية التي يمكن اعتبارها لصيقة بحاملي الهويّة بصورة نهائية يتم تناقلها كإرث إلى الفاعلين الاجتماعيين[٢].

تباعًا، انكشفت جدليات أخرى تحويها ضمنًا الهويّة الثقافيّة بفعل العولمة وتطور تقنيات الاتصال والمعلومات وإلغاء الحدود، تشمل جدلية العلاقة بين الذات والأخر، والحفاظ على خصوصية الهويّة الثقافيّة، والانفتاح على ثقافة الآخر وحدود التفاعل.

يرى المفكّر الفرنسي في علوم الإعلام والاتصال دومينيك فولتون أن العولمة في موجتها الثالثة[٣] طرحت مسألة الحفاظ على الهويّة الثقافيّة للشعوب والدول على طاولة النقاش، وقدّم في هذا السياق أطروحته التي مثّلها بصريًا في مثلث متفجّر يتألف من ثلاثة أضلع، هي التالية: التواصل، الهويّة والثقافة، معتبرًا أن العولمة كلما زادت من فرص التواصل بين

(١) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٣) حدّد فولتون ثلاث موجات من العولمة: العولمة الأولى ذات طابع سياسي تمظهرت بتشكيل منظمة الأمم المتحدة. أما العولمة الثانية كانت اقتصادية، عزّزت من انتشار قيم الحرية الاقتصادية في الثمانينات، مع الحفاظ على الهويّة الثقافيّة للدول، أمّا الموجة الثالثة الراهنة، فتتميّز بانفتاح الدول والشعوب على العالم بشكل أكبر، وتشكل الهويّة الثقافيّة إحدى أهم الركائز الأساسية في عملية التواصل.

الشعوب، كلما ساهمت في انكشاف الفروقات الثقافيّة فيما بينها وتحقّق اللاتواصل، متّخذًا في غالب الأحيان منحى سلبيًا، آخره الصراع؛ فبحسب فولتون، تنشأ الصراعات بفعل حرص الدول على تأكيد هويتها الثقافيّة وتعايشها الأصيل مع الآخر.

في الإطار نفسه، حدّد فولتون نمطين من الهويّة في تعامل الدول مع الموجة الثالثة للعولمة؛ النمط الأول عنوانه «الهويّة الانفتاحية» (l'identité relationnelle)، وتتميّز بالانفتاح على الآخر، وتستطيع الحفاظ على الهويّة والرابط بينها وبين المجموعة العالمية، أمّا النمط الثاني، فيشير إلى «الهويّة الملجأ» (l'identité refuge)، حيث الانغلاق على الذات التي تنظر إلى الانفتاح كتهديد للهويّة.

يقترح فولتون اتباع استراتيجية التعايش الثقافيّ على قاعدة ديمقراطية لإدارة الموجة الثالثة من العولمة والمثلث المتفجّر بين الهويّة والتواصل والثقافة، مشدّدًا على ضرورة احترام التنوّع الثقافيّ والخصوصيات الثقافيّة للشعوب، مع نفيه وجود ما يُسمى بـ «الثقافة العالمية»[1].

الهويّة الثقافيّة في فكر السيد الخامنئي:

لا يُميّز السيد الخامنئي بين المفهومين اللذين تتشكّل منهما الهويّة الثقافيّة، إنما يعرّف كل واحد منهما بالأخرى، فهو يعرّف الثقافة بـ«أنّها

(1) Woton, D., *Sauver la communication*, pp. 218 - 220.

الهويّة العامة لأي شعب»[١] و«الرصيد الأصلي لهويّة الشعوب»[٢]، ويعرّف الهويّة بأنها «هي بحدّ ذاتها ثقافة الشعب»[٣].

تشكل الهويّة الثقافيّة ركنًا أساسيًا في خطاب السيد الخامنئي، فهو يُعيد من خلاله تشكيل الهويّة عبر هندسة خصائص جديدة لها ربطًا بسياقات الحاضر، ومنحه لها وظائف ومعان في سياق الصراع الحضاري مع الولايات المتحدة الأمريكيّة والقوى الاستكبارية؛ فالهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي هي السبب الأساس لمنشأ الصراع بين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والولايات المتحدة الأمريكيّة والقوى الاستكبارية من جهة، وهي السبب الأساس في تطوّر البلاد واقتداره من جهة أخرى. وبناء على هذه الخاصية المزدوجة للهويّة الثقافيّة، يصبح الدفاع عنها أمرًا لازمًا وواجبًا.

أما فيما يخص تفاعل الهويّة الثقافيّة مع الآخر [الثقافات الأخرى]، فيصنّف السيد الخامنئي الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة ضمن الهويات المنفتحة على الآخر، مسميًا التفاعل الثقافيّ بين الطرفين تحت عنوان «التبادل الثقافيّ». في حين تصبح الهويّة الثقافيّة مقاومة للآخر أو العدوّ الذي يسعى إلى إبادة ثقافتها لإحلال ثقافة مغايرة مكانها ترضح لمطالب العدوّ.

---

(١) كلمته في لقاء أهالي آراك، بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٤.

(٢) كلمته في لقائه مع نخبة من العاملين في مؤسسة التلفزيون والإذاعة، بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧.

(٣) نفسها.

٣- المثاقفة:

مبحثٌ اهتمّ به علماء الأنتربولوجيا وعلم الاجتماع لدراسة أثر الاحتكاكات الثقافيّة في الأنماط الثقافيّة للجماعة أو الجماعات. برزت أولى الجهود البحثية في هذا المجال في أعمال مجلس البحث في العلوم الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكيّة، حيث أَصَدَرَ عام ١٩٣٦ ما عُرف بـ« مُذكّرة لدراسة المثاقفة»: وفيه قدّمَ المعنى الشّامل لمفهوم المُثاقفة بالقول: «المثاقفة هي مجموع الظواهر الناتجة من احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافيّة الأولية للجماعة أو الجماعات».

ساهم هذا التعريف في فتح مجال النقاش حول أنواع الاحتكاكات الثقافيّة التي تنشأ فيها عملية المثاقفة، والتي قد يتحدّد على إثرها أنماط وآليات التفاعل الثقافيّ. تتنوّع أنواع الاحتكاكات تبعًا للمتغيرات المترافقة معها، أو تبعًا لكون الاحتكاكات ودية أو معادية، أو تبعًا لكون الاحتكاكات تقع بين مجموعات تتساوى في أحجامها أو بين مجموعات مختلفة الحجم، أو تبعًا لكون هذه الاحتكاكات تنشأ عبر الاستعمار أو الهجرة[١].

ميّز عدد من المؤرّخين نوعين من المثاقفة:

- المثاقفة التلقائيّة: تندرج في إطار الاتصالات السلمية بين الشعوب.

(١) نقلًا عن: عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٧٠.

- المثاقفة المفروضة: تفرض بالقوة من قبل المستعمِر ويسعى إلـى إبـادة ثقافة المستعمَر، كما هي الحال عند سيطرة الأوروبيين على الهنود بصفة مباشرة وبالقوة بعد إبادتهم، غداة الاكتشافات الجغرافية الكبرى، ثم هضم الحقوق الاقتصادية والسياسية والدينية لمن بقي منهم[١].

بـدوره، وضع عالم الاجتماع الفرنسي روجيه باستيد تصنيفًا آخر لحالات المثاقفة، انطلاقًا من مبدأ ضرورة النظر إلى وقائع المثاقفة باعتبارها تشكل ظاهرة اجتماعية شاملة تلامس مستويات الواقع الاجتماعي والثقافيّ كله، وهي تتحدّد حسب المجموعة المهيمنة والأخرى المهيمن عليها. وبناء على طرحه، توصّل إلى تحديد ثلاثة أنماط من المثاقفة:

- المثاقفة العفويّة الطبيعيّة والحرّة، غير الموجّهة وغير المراقبة.
- المثاقفة المنظمة: تكون قسرية وتتم لمصلحة جماعة واحدة [كما في العبودية والاستعمار].
- المثاقفة المضبوطة والمخططة: قد تؤسس إلى استعمار جديد كما في حالة النظام الرأسمالي، وقد تنشأ من طلب مجموعة تتمنى رؤية تطوير شكل حياتها لتشجيع تطورها الاقتصادي.

وفي محاولة منه لتفسير النتائج المتتابعة لعمليّة المثاقفة في جميع حالاتها، أدخل باستيد فكرة العلّتين [العلة الداخلية والعلّة الخارجية]. تشير العلّة الداخلية إلى منطق عمل الثقافة الذي قد يعرقل أو يشجع

(١) رشيد يلوح، **التداخل الثقافيّ العربي - الفارسي، من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري**، ص ١٩.

التغيرات الثقافيّة الخارجية، أما العلة الخارجية مرتبطة بالتغير الخارجي المنشأ، فلا تعمل إلا من خلال قابلية العلة الداخلية. العلة الخارجية تهدد انسجام العلة الداخلية التي بدورها تبني نماذج تساعدها على استعادة نوع من التجانس، فهذه الجدلية بحسب باستيد، تؤدي إلى بناء ثقافي جديد يمكن أن تهيمن فيه العلة الداخلية أو تنتصر فيه العلة الخارجية[١].

٤- الحرب الناعمة:

عرّف الباحث المتخصص في الدراسات الأمنية والعسكرية في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى مايكل ايزنشتات الحرب الناعمة على أنّها «استخدام الأقوال والأفعال والصور الانفعالية كجزء من حملة تواصل استراتيجي طويلة المدى لتشكيل الحالة النفسية لبلد معاد لأمريكا مثل إيران»[٢].

ومن جهة أخرى، عرّف جوزيف ناي القوة الناعمة على أنها القدرة على تشكيل تصورات الآخرين والحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلًا عن الإرغام أو دفع الأموال[٣].

أما في التعريف الخاص بالسيد الخامنئي للحرب الناعمة، فيصوّرها على أنّها غزو ثقافي تشنّه قوة سياسية أو اقتصادية على المبادئ الثقافيّة لشعب من الشعوب، وذلك لتنفيذ أهدافها السياسية الخاصة والتحكم بمصير ذلك الشعب. وهي حرب معقدة وسرّية هدفها تحويل نقاط

(١) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٧١ - ٧٢.
(٢) نقلًا عن: مركز الحرب الناعمة للدراسات، **الحرب الناعمة: الأسس النظرية والتطبيقية**، ص ٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦.

القوة إلى نقاط ضعف وتهديدات وقلب حقائق البلاد من خلال تضخيم المشاكل الاقتصادية والتقنية والسياسية في إيران[١].

٥- الأمن الإقليمي المركّب:

هي واحدة من أدبيات وإسهامات مدرسة كوبنهاغن الأمنية. يُشير مفهوم الأمن الإقليمي المركّب إلى أنّ الأمن ظاهرة علائقية، فلا يمكن لأحد أن يفهم الأمن الوطني لأي دولة بمعزل عن سياقاته الإقليمية. يُعبّر المفهوم عن مجموعة من الدول التي ترتبط اهتماماتها الأمنية الأساسية مع بعضها بشكل وثيق لدرجة أنّ أوضاعها الأمنية الوطنية لا يمكن بحثها واقعيًا بمعزل عن بعضها[٢]... وهو تعبير ملازم لمفهوم النظام الإقليمي الذي يتشكّل حينما يصل نسق التفاعلات السياسية بين القوى الجهويّة لمنطقة ما إلى مستوى معيّن من الكثافة بحيث يمكن قياس كثافة ودرجة هذه التفاعلات بحدوث الصراعات والحروب من جهة، ومظاهر التعاون والتحالف من جهة أخـرى[٣]. بحسب هذه المدرسة، تتحدّد العوامل المتحكّمة في ديناميكيات التفاعل داخل مركّبات الأمن الإقليمية في المتغيّرات التالية:

(١) مركز قيم للدراسات، **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، ص ٨٧ - ٩٥.

(٢) سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٩١.

١. علاقات العداوة والصداقة التاريخية، وهي ليست محصورة بتوازن القوى، إنما قد يكون مردّها إلى الأيديولوجيا والتلاحم والقرب الجغرافي[١].

٢. التّخومية: أي القرب الجغرافي الـذي يعني في جوهره الإستراتيجي التأثير الأمني المبتادل بين الوحدات السياسية، ما يعني أنّ أي خلل أمني تشهده دولة قد يصدر أنماطًا مختلفة من عدم الاستقرار خارج حدودها، الأمر الذي يحوّلها إلى محل خطر وتهديد للدول المجاورة لها[٢].

٣. الاعتماد الأمني المتبادل: يعتبر مبدأ التخومية ووجود وحدات سياسية قوية تشكّل قلب مركب الأمن الإقليمي إحدى أبرز عوامل تحفيز الاعتماد الأمني المبتادل[٣]. وتشير مفردة «الإقليمي» في مفهوم الأمن الإقليمي المركّب إلى خاصية البناء الاجتماعي، فالبناء الإقليمي بحسب الباحثَين باري بيوزان وأولي ويفر ينشأ عن إدراك مشترك من قبل الفاعلين للتهديدات والمخاطر الأمنية؛ إذ يصبح التنسيق الإقليمي الآلية المناسبة لتشكيل الهويّة المشتركة، ما يعزّز الاعتماد الأمني المتبادل[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٢) محمد حمشي، «أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا»، ص ٣.

(٣) نقلًا عن: خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٩٣.

(٤) نقلًا عن: المصدر نفسه، ص ٩٧.

حدّد الباحث سليمان عبد الله الحربي مجموعة شروط واجب توفّرها لتحقيق التعاون الأمني، وبالتالي قيام منظومة أمنية تشكّل القاعدة الأساسية أو الهيكل الأساسي لمركبات الأمن الإقليمية، وتتمثّل هذه الشروط في:

- وجود نخب سياسية تلتزم بالتعاون وتكون مؤمنة بعوائد هذا الاتفاق.
- وجود رأي عام ضاغط لتحقيق هذا التعاون.
- وجود تدخلات خارجية إيجابية ذات مصلحة في قيام واستمرار هذا التعاون، إضافة إلى توفّر ظرف إقليمي أو عالمي يتضمّن تهديد أمن مجموعة من الأطراف، ويتحوّل إلى عامل خارجي ضاغط.

بناءً على العوامل المذكورة أعلاه، وربطًا بموضوع بحثنا الذي ينطلق من حقيقة أنّ الأمن الثقافيّ تكرّس في القرن الواحد والعشرين كأحد أهمّ قطاعات الأمن القومي، يُمكننا مقاربة الأمن الإقليمي المركّب في سياق تداخل أمن الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بأمن محور المقاومة وشعوب العالم المتطلّعة نحو التحرر من الهيمنة الغربية وتحقيق الاستقلال والعدالة، وبالتالي الحديث عن «أمن ثقافي مركّب» تُشكّل الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة محوره الأساس، وتتفاعل معها مجموعة أقطاب أخرى ممثّلة بشعوب العالم على امتداد جبهة مقارعة الاستكبار الأمريكيّ والاحتلال الإسرائيلي وكل أشكال الهيمنة ونهب الشعوب والثروات.

وإن كان السيد الخامنئي لم يستعمل مصطلحًا محدّدًا للتعبير عن الظاهرة العلائقية الأمنية بين الجمهوريّة الإسلاميّة وشعوب العالم على

المستوى الثقافيّ، إلا أنّه أشار إليها وأوضحها من مقاربة ينطلق فيها من تشكّل تيار ثقافي مؤثر في شعوب العالم الإسلاميّ وغير الإسلاميّ يزيد الوعي ضد استكبار القوى الغربية من جهة، وينشر الأمل في نفوسهم، وهو ذاته مهدّد بالانكفاء والخمود في حال انكفأت الجمهوريّة الإسلاميّة عن شعاراتها ومشروعها في مقارعة الاستبكار واقتدار الأمة الإسلاميّة.

«... إن بذرة الأمل التي نثرت في قلوب الشعوب، وزرعت وسُقيت ونمت وأثمرت كانت ناشئة من ثبات شعب إيران، لو أن شعب إيران تراجع، لو أننا تخلّينا عن شعاراتنا، لو أننا انحنينا أمام تهديدات الاستكبار العالمي وتهويلاته وضغوطاته، لكانت ورود الأمل هذه والتي نمت وترعرعت في قلوب الشعوب قد ذوت وماتت»[١].

«... ما قبل الثورة، كان شعبنا وبلدنا أسيرين للثقافة الغربية، ولكن بفضل موقف السيد أصبح التأثير الثقافيّ متبادلاً، وكذا بدأ هناك تيار ثقافي يتحرّك في مجتمعنا الإسلاميّ نحو الخارج بنحو بعث الرّعب مرات عديدة في قلوب زعماء الاستكبار، وما زالوا يعبّرون عن رعبهم ذاك في تصريحاتهم التي يدلون بها في الوقت الحاضر، ويتّهموننا فيها بمحاولة تصدير الثورة في حين أننا لم نغلّب ثورتنا حتى نصدّرها إلى أي مكان، غير أنّ ذاك الكلام كان يقصد به هذا التيار الثقافيّ الذي أخذ ينتشر في البلدان الإسلاميّة، وحتى غير الإسلاميّة، ويبثّ فيها الوعي»[٢].

(١) كلمته في لقاء جمع من شعراء ومدّاحي أهل البيت، بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٥.

(٢) كلمته في صلاة جمعة طهران، بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١.

٦- الإستراتيجية الأمنية:

مفهوم يتضمّن مصطلحين: الإستراتيجية والأمن.

الإستراتيجية هو مصطلح مشتقّ من الكلمة اليونانية strato التي تعني الجيش والحشد، وكذلك مشتق من كلمة strategeo التي تعني فن قيادة القوات. بدأ استخدام المصطلح منذ نهاية القرن الثامن، حيث اعتبرت إدارة الحرب علمًا له مبادئه وأسسه الخاصة. تعدّدت تعريفات المفكرين حول الإستراتيجية التي غلب عليها الطابع العسكري، ولكن مع تطوّر الحقل الأمني ومفاهيمه، صارت الإستراتيجية بمعناها الأشمل والأوسع غير المحصور بدلالة النشاط العسكري في الميدان تعني: «علم وفن استخدام القدرات والإمكانيات المتاحة لدى الدولة وتوظيفهما لخلق هامش من حرية العمل يُعينها على تحقيق أهداف سياستها العليا في أوقات السلم والحرب»[١].

تعرّف الإستراتيجية الأمنية على أنّها: «تصوّر عام وإطار أو خطة بعيدة المدى تعمل على توظيف إمكانيات وطاقات مؤسسات الدولة والمجتمع وتوجيهها للعمل بشكل منتظم تكاملي وفعّال لتحقيق الأمن بمفهومه الواسع عبر مجموعة من الخطط الفرعية والبرامج والوسائل المختلفة التي تنسجم مع طبيعة كل قطاع»[٢]. وكذلك قدّمت تعريفات أخرى للإستراتيجية الأمنية عبر ربطها بمصالح الدولة والأهداف الساعية نحو تحقيقها، فعرّفت باعتبارها «النهج الأوسع للدولة في السعي لتحقيق

(١) محمد بن أحمد، «الفلسفة والأمن الإستراتيجي»، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) عبد الناصر، نقلًا عن: حجازي محمد السعيد، «الإستراتيجية الأمنية في الدراسات الدولية: إطار نظري ومفاهيمي»، ص ١٧.

الأهداف الوطنية في البيئة الدولية، وذلك عبر مجموعة من الوسائل التي تصنّف في أربع فئات: إعلامية، عسكرية، اقتصادية، سياسية، دبلوماسية[١].

تكتسب الإستراتيجية الأمنية أهمية بالغة في حقل العلاقات الدولية من جهة ومجال الدراسات الأمنية من جهة أخرى، نظرًا لما يشكّله الأمن من حجر زاوية في تحقيق التنمية والتقدّم لأي مجتمع، ولطالما تطوّر مفهوم الأمن وتعمّق وتوسّع ليشمل قطاعات متنوعة منها السياسي والثقافيّ والاقتصادي والبيئي والمجتمعي، صار لزامًا على كل الدول التفكير برسم إستراتيجية أمنية كبرى وشاملة، تتضمّن إستراتيجيات تخصّصية في كلٍّ من القطاعات المذكورة، مما يتيح للدول التعامل مع التهديدات وإدارة الأزمات بطريقة فاعلة ومنسّقة.

تتحدّد الإستراتيجية الأمنية على أساس مجموعة من المتغيّرات المتمثلة في طبيعة التهديدات، نوعية مصادرها، ما يستوجب على الدول رسم إستراتيجيات مضادة لاحتواء تلك التهديدات، فضلًا عن كون الأساس في بناء الإستراتيجية يتمثل في حماية مصالح الدولة، إضافة إلى مرجعيّتها الأيديولوجية التي تحدد المبادئ والأصول والأولويات[٢].

بناءً على ما تقدّم، تتضمّن الإستراتيجية الأمنية غالبًا الأهداف والمصالح والتهديدات وآليات وطرق احتواء التهديد، التي تعكس جميعها نظام الدولة الفكري تجاه الأمن.

---

(١) نقلًا عن: المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

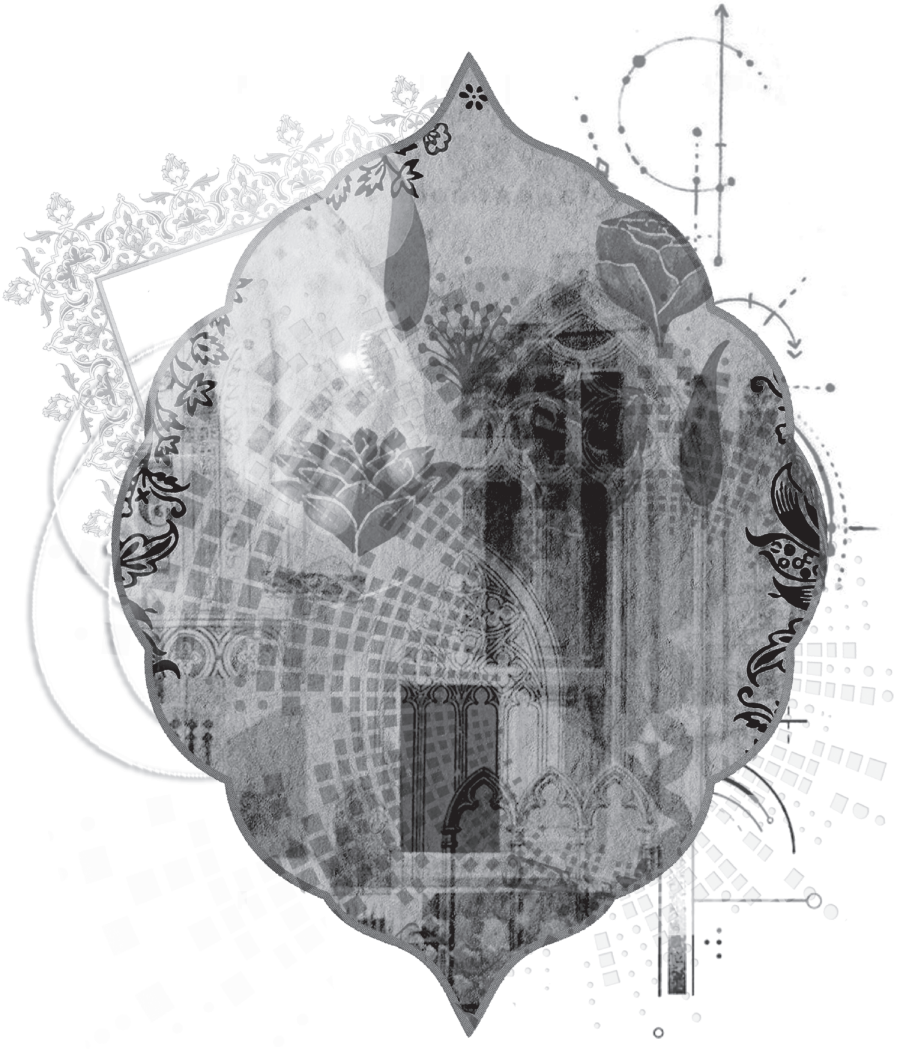

الفصل الأول:

الأمن الثقافيّ:

الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع

«...إنّ الهويات الثقافيّة هي التي تُشكّل أنماط التماسك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة».

صامويل هنتنجتون

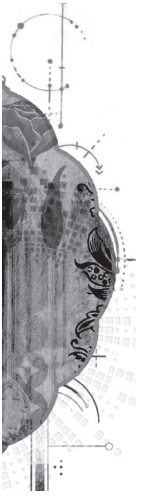

شهِدَ العالم في منتصف الثمانينات سلسلة تحوّلات على صعيد السياسة الدولية، كانهيار الاتحاد السوفياتي، ونهاية الحرب الباردة، وتفشّي الصّراعات الدّاخلية، وتزايد مشاكل الهجرة، وبروز تهديدات جديدة عابرة للأوطان: الأمراض - الجريمة الدولية، اللاجئون، وانتهاكات البيئة.

ما شكّل واقعًا جديدًا دفع إلى إحداث انعطافة في حقل الدراسات الأمنية، فتأسس ما يعرف بـ«الدراسات الأمنية النقدية»، وهو حقل يُعيد تعريف الأمن بطريقة جذرية عبر توسيع قطاعاته ليشمل المجالات المجتمعية والثقافيّة والاقتصادية والبيئية وتعميق مرجعياته ووحداته، متجاوزًا مركزية الدولة ليشمل الجماعة بمختلف فئاتها وخصائصها (أطفال، نساء، أقليات، إثنيات،...).

ترافق مع هذه التحوّلات مع ولادة خطاب فلسفي سياسي يوصّف معالم المرحلة الانتقالية، ويستشرف النظام العالمي الجديد وثقافته السائدة، وكانت إحدى أهم الطروحات المتقدّمة في هذا الإطار هي مقولة «نهاية التاريخ» التي زعَمَ فيها فيها فرانسيس فوكوياما نهاية حرب الأفكار وانتصار النّموذج الغربي الليبرالي، عبر امتلاكه مفاتيح التقدّم

المعرفي والاجتماعي والسياسي، تُخوّله أن يُخضِع العالم لثقافة موحّدة عالمية يحدّد منظومتها القيمية والأخلاقية وفق مصالحه.

أفضى خطاب الحتمية التاريخية للنّموذج الرأسمالي وسيادته على ثقافة الدول إلى تَبَلوُر فضاءات تعيد بناء هويتها في عالم يفقد معناه، ويدفع باتجاه الاستلاب، وتقاوم الصيرورة الحتمية للتاريخ البشري. عَيَّنَ صامويل هنتنجتون حُدودَ هذه الفضاءات في خارطة تقسيمات جديدة، رسمَها وفق رؤية بنيوية ثقافية للنظام الدولي الجديد. جعل هنتنجتون الولايات المتحدة والأوروبيين تشكلان حضارة غربية مشتركة في مواجهة الحضارات الأخرى: الصينية، اليابانية، والأرثوذكسية، الهندية، والإسلاميّة، أمريكا اللاتينية، الأفريقية، البوذية.

طَرَحَ هنتنجتون رؤيته للعالم الجديد في كتاب «صدام الحضارات»، منطلقًا من فرضية أنّ الهويات الثقافيّة هي التي تُشكّل أنماط التماسك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، بحُكم أنها صارت المحدد الأساس لمكانة الدولة في السياسة العالمية، وكذلك لأصدقائها وأعدائها[١]. يعتقد هنتنجتون بأنّ صعود النزعات الهوياتية وبـروز الصحوة الدينية في المجتمعات غير الغربية جاءت في سياق الردّ على محاولات الاستلاب والعلمنة والتحديث وفق الأسس الغربية، وكتعبير عن رؤية تهدف إلى تحقيق الاستقلال الثقافيّ عن الغرب وإعلانهم السير قدمًا في طريق التطور والتحديث، دون تجريدهم من خصوصياتهم الثقافيّة على قاعدة لخّصها هنتنجتون في التالي «سنكون حديثين، ولكننا لن نكون أنتم»[٢].

(١) صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

عرّف هنتنجتون الحضارة على أنّها «أعلى تجمّع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهويّة الثقافيّة يمكن أن يميّز الإنسان عن الأنواع الأخـرى، وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس، والحضارة هي «نحن» الكبرى التي نشعر ثقافيًا بداخلها أننا في بيتنا في مقابل الـ«هم» عند الآخرين»[١].

في هذا الصدد، اعتبر الأستاذ في علم الاجتماع الدكتور عبد الغني عماد أنّ الخطاب الفلسفي المبني في دوائر صنع القرار ترافق مع سلسلة عمليات عسكريّة في أكثر من موقع من العالم الإسلاميّ، حاولت الولايات المتحدة الأمريكيّة من خلالها صُنع وقائع جيوسياسية تُرسّخ الاعتقاد بأنّ مقولة انهيار الأيديولوجيات تُنذر بولادة أيديولوجيا جديدة تُقصي كل بناء فكري أيديولوجي مناهض لتوسّع الليبرالية الغربية المتوحّشة، فضلًا عن تأكيد أن الحضارة الإسلاميّة هي من أهم المجالات الحضارية المقاومة والرافضة والمتصدّية لمنظومة القيم الغربية الديمقراطية[٢].

بعد مرور عقدين من الزّمن على صدور أطروحته الأولى «نهاية التاريخ»، أصدر فوكوياما كتابًا آخر بعنوان «سياسات الهويّة»، حيث تقصّى فيه التحدّيات التي تواجه نموذج الديمقراطية الليبرالية في العالم.

وجد فوكوياما أن القرن الواحد والعشرين شهد تركيز اليسار بشكل أقل على خلق مساواة اقتصادية واسعة وبشكل أكثر على تعزيز مصالح مجموعة واسعة من الفئات المهمّشة، مثل الأقليات العرقية والمهاجرين

(١) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٢٧٦.

واللاجئين والنساء والمثليين. وفي الوقت نفسه، أعاد اليمين تعريف مهمّته الأساسية باعتبارها الحماية الوطنية للهويّة الوطنية التقليدية، والتي غالبًا ما تكون مرتبطة بشكل واضح بالعرق والإثنية أو الدين.

خلُص فوكوياما في بحثه إلى أنّ العولمة أحدثت تغيّرات اقتصادية واجتماعية في المجتمعات الديمقراطية، ودفعت بالجماعات المهمّشة إلى المطالبة بالاعتراف بهويتها وحقوقها، مقابل مجموعات أخرى تردّ بعنف لشعورها بفقدان مكانتها وامتيازاتها من جرائها، الأمر الذي أفضى إلى إطلاق شرارة الصراعات وتشرذم هذه المجتمعات[١]. وعلى هذا الأساس، قدّم فوكوياما المفهوم الحديث للهويّة ربطًا بالمتغيرات التقنية والاقتصادية والسياسية وعرّفها على أنّها تبرز بين ذات المرء الداخلية الحقيقية والعالم الخارجي الذي يعيشون فيه، وقواعده الاجتماعية التي لا تعترف بكرامة الذات الداخلية وقيمتها، وأنّ الذات الداخلية تمنح لنفسها قيمة، تطالب بالاعتراف فيها والايمان بها[٢]. ساهم استناد فوكوياما على منظور جديد في تعريف الهويّة في إبراز بعدها الصراعي بين الذات والمجتمع، وتقديمها كرهان سياسي في الولايات المتحدة الأمريكيّة.

تشترك أطروحات «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» و«سياسات الهويّة» في هندسة معالم نظام عالمي جديد تتبوّأ فيه الثقافة والهويّة مكانة مهمة، وتكشف عن تحوّلات طرأت في ديناميكيات تشكّل الهويات بفعل الانفجار الهائل لتكنولوجيا الإعـلام والاتصال ومحاولات القوى

(١) فرانسيس فوكوياما، «ضد سياسات الهوية: كيف ساهم «اليسار الجديد» بصعود «اليمين»؟»، مترجم للعربية على موقع قناة الجزيرة.

(٢) فوكوياما، نقلًا عن: الجسمي، عبد الله، «مراجعة كتاب الهوية: مطلب الكرامة وسياسات الضغينة لفرانسيس فوكوياما»، مجلة **تبيّن**، ص ٢٣٤.

الغربية في فرض سيادتها الثقافيّة وقيمها الاقتصادية والاجتماعية على الدول ذات السيادة من بوابة العولمة.

في هذا الفصل، سنحاول رسم مشهد لسياق التحوّلات التي شهدها العالم مع انطلاقة عصر العولمة عقب انتهاء الحرب الباردة، وكيفية انخراط الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع، وتحوّلها إلى رهان أمني في العلاقات الدولية عبر إطلالة موجزة في المبحث الأول على أهمّ المدارس النظرية التي عالجت العلاقة التفاعلية بين الأمن والهويّة. أما في المبحث الثاني، سنخصصه لاستخلاص أهم عناصر الخطط والإستراتيجيات لتحقيق الأمن الثقافيّ من خلال مجموعة دراسات وأبحاث تناولت موضوع الأمن الفكري والثقافيّ لتثبيتها كنموذج عام لإستراتيجية الأمن الثقافيّ على أن نُخصّص الفصول اللّاحقة لدراسة حالة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في صياغة إستراتيجية أمنها الثقافيّ من خلال تحليل خطاب السيد علي الخامنئي الذي يتّجه نحو أمننة القضية الثقافيّة، ومعيدًا بدوره بناء الهويّة الثقافيّة ربطًا بسياق الصراع مع الاستكبار الأمريكيّ.

١. الهويّة: رهان أمني جديد

أفضى تطوّر تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتوغّل العولمة في مختلف مجالات الحياة، وسيادة الفكر الرأسمالي الليبرالي المعزِّز للقيم الفردانية والانفتاح غير المشروط إلى إحداث تحوّل في أدوات الصراع وأساليبه بين الدول. توجّهت القوى الغربية نحو خيار استخدام القوة الناعمة بدلًا من القوة العسكرية في سبيل مشروعها الرّامي إلى استهداف النّموذج الفكري القيمي؛ وبذلك افتُتح عهدٌ جديدٌ من الاستعمار، أطلق عليه السيد علي الخامنئي «استعمار ما بعد الحديث»، وهو مفهوم يُشير على حدّ تعبيره إلى سياسة جديدة تفرضها الأجهزة الاستكبارية على الشعوب عبر

إرسال العملاء وخداعهم وتحريكهم عبر بذل الأموال والدعاية وأنواع الترغيب وتشويه للثقافات والقيم؛ وذلك لدفعهم نحو سلوكيات تصبّ بمصلحتها الخاصة لإحكام هيمنتها على مفاصل دولتهم، والاستيلاء على ثرواتها الوطنية[١].

من هذا المُنطلق، أصبحت الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع، وموضع استهداف من القوى المهيمنة لإحلال شعوب بهويّة عديمة الشّكل والجوهر تعيد إنتاج نظام دولة متماهٍ مع نظامها لإحكام هيمنتها في مختلف القطاعات السياسية والثقافيّة والاقتصادية.

واقعٌ يعبّر عنه الفيلسوف الفرنسي إيتيان باليبار بمفهوم «العنصرية التّفاضلية»، وهو مفهوم يُقصد به تشكّل نمط جديد من العنصرية يحكم القرن الواحد والعشرين، وهو عنصرية دونما عنصر أو عرق، إنما يجري تمكين الثقافة من الاضطلاع بالدور الذي كانت البنية الحيوية ممثلة بالأعراق والإثنيات تضطلع به، فهي عنصرية جديدة تُدخل القوى المهيمنة أوجه الاختلاف بينها وبين الآخر المختلف في بنية تفاضلية، وتخضعها لدرجات الانحراف عن مركز الحضارة الغربية. تؤمن الذات التي تمثلها القوى المهيمنة بأنها تجسّد الأفضل والأكثر اتساقًا مع الطبيعة، وبالتالي يصبح بموجبها الحكم على الآخر على أساس أنها هي مرجع هذا الحكم إيمانًا بالقيمة الفريدة والصواب التام للقيم التي تميّزها[٢].

---

(١) تحدث عن الاستعمار ما بعد الحديث في كلمته في لقاء مع أهالي مدينة قم المقدسة في ذكرى انتفاضة ١٩ دي، ٢٠٠٥/١/٨، وفي لقاء آخر مع عوائل شهداء مدينة كرمان ٢٠٠٥/٥/٢.

(٢) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ١٦٦ - ١٦٧.

في سبيل تحقيق مشاريع الهيمنة، تُقدّم القوى المهيمنة ذاتها في شبكة «مواقد ثقافية[١]» تنشر قيمها ومعانيها وأفكارها بين دول وجماعات أخرى، وذلك عبر أقنية ومجالات واسعة للتفاعل، والتي بدورها ستؤثر في إعادة إنتاج هويات هذه الدّول بـأساليب وديناميكات مختلفة.

حازت ظاهرة التدفق الثقافيّ والمعرفي من المواقد الثقافيّة نحو أماكن أخرى على اهتمام علم الانتربولوجيا وعلم الاجتماع الثقافيّ، فقدّمت مفاهيم تصوّر خطوط التداخل التي تشتغل فيها ديناميكيات التفاعل الثقافيّ بين الطرفين. انحصرت هذه الديناميكيات في ثلاثة خطوط:

- الاستيعاب: يحدث عندما تتغيّر ثقافة ما تمامًا وتفقد صفاتها الأصلية بسبب اندراجها في معطيات ثقافية مهيمنة. هنا ينتج عنها تجانسًا ثقافيًا.
- القطيعة: عندما تحاول ثقافة ما إثبات أصالتها وخصوصيتها ومقاومة ما تعتقد أنه تهديد حقيقي أو مدرك من ثقافة أخرى ينتج عنها عدم التجانس يعبّر عنها بمفهوم الفسيفساء[٢].
- المثاقفة: عملية تحدث عندما تتّخذ مجموعة ما صفات الآخرين، بينما تحتفظ ببعض صفاتها، وهذا ينتج هويّة متكيّفة وهجينة.

---

(١) «الموقد الثقافيّ»: تعبير إنتروبولوجي يُطلق على المناطق التي تشكل مصدرًا غنيًّا للصفات والمعاني المشتركة والأفكار والمعايير التي تتدفق الى أكثر من مكان. يوصّف التعبير ظاهرة انتقال المعرفة والثقافة من مكان إلى آخر في عصر العولمة.

(٢) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ١٦٠.

ولما كانت الهويّة عملية بنائية مستمرة تتشكّل في سياق علائقي وتفاعلي بين الذات والآخـر، نفترض بأن أنماطًا متنوّعة من الهويات ستتبلور وفق الديناميكيات الثلاثة المذكورة سابقًا.

تعدّدت مختلف البحوث المهتمة بالهويّة في القرن الواحد والعشرين، وتمحورت غالبيتها حول دراسة آليات تشكلها وتفاعلها مع المتغيرات التي فرضتها التقانة، لاسيما الشبكة الرقمية. تفيدنا هذه البحوث في استخلاص أنماط الهويّة المتشكّلة بفعل التفاعل الحاصل بين كيان هوياتي والفواعل الأخرى في سياق معولم يتّجه نحو فرض ثقافة عالمية واحـدة. ولما كانت الشبكة الرقمية انعكاس لصراعات الواقع السياسي، وموازين القوى فيه، تصبح مقاربتها علميًا امتدادًا للنظام العالمي المبني أيضًا وفق أسس قوى ومصالح كبرى يتداخل فيها السياسي والاقتصادي بالثقافيّ والتكنولوجي. في هذا الصدد، تُعدّ أطروحة مانويل كاستلز حول دور الهويّة في المجتمع الشبكي الأكثر أهمية في تبيان معالم الهويات المتشكلة في ظروف التغيير البنيوي الذي يشهده العالم بأسره.

ينطلق كاستلز في مقاربته من أساس أن الرأسمالية تواجه «ظاهرة التفرّد الثقافيّ» الناشئة من نزعة جماعية تتحدّى العولمة لمصلحة هويتها في ظل سياق عالمي غير مستقر ومحكوم بشبكات رقمية تتنافس فيها قوى اقتصادية وسياسية وتكنولوجية كبرى.

خلص كاستلز إلى أنّ الهويّة الجماعية في توتر دائم مع الرأسمالية ومشروعها، وأن المجتمعات تتأسس حول التعارض الثنائي بين الشبكة والـذات. يُشير مفهوم الشبكة بحسب منطق كاستلز إلى «التشكيلات التنظيمية الجديدة المبنية على أساس الاستخدام الواسع لوسائل الاتصال

المتشابكة، وهي سمة من سمات القطاعات الاقتصادية الأكثر تقدّمًا والشركات الداخلة في مجال التنافس العالمي الشديد. أما الذات فترمز إلى الأنشطة التي يحاول الناس من خلال ممارستها تأكيد هويتهم في عصر التحولات الكبرى»[١].

وعليه، حدّد كاستلز ثلاثة أنماط من الهويات أنتجتها الدينامية المركزية لعصر المعلومات:

- **الهويّة المشرعنة:** تصوغها الكيانات المهيمنة والأيديولوجيا المظفّرة بفرض رؤيتها على الآخرين، وتحديد علاقات القوة والسلطة وآليات الإدماج والإقصاء.
- **الهويّة المقاومة:** تتأسس على معارضة الخضوع والإقصاء والاندماج في نظام عالمي يعمل على تذويبها أو ترويضها. تتنوّع أشكال الاعتراض في فضاء الهويات المقاومة بين ما يعبّر عن نفسه كهويات ناعمة مستأنسة وموادعة، ولكنها تحرص على إعادة إنتاج نفسها، وبين هويات صاخبة تتلازم مع نزعة قومية تحررية. تتمركز الهويات المقاومة حول مسائل الإقصاء والسيطرة والإخضاع، وتعمد إلى النضال باسم الحقوق والمساواة.

  وقد تتمحور الهويات المقاومة حول النواة الصلبة في لحظة اشتداد توحش النظام العالمي، وتتحوّل إلى هويات صلبة عنفية، متشددة، مغلقة على نفسها وتقصي الآخر.

---

(١) كاستلز، نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

- **هويّة المشروع**: تنتجها الحركات الطامحة إلى تغيير المجتمع، وهي أكثر من كونها وسيلة لتأسيس الشروط التي تسمح لها بالبقاء في موقع المعارضة للفاعلين المهيمنين، إنما هويّة جديدة تعيد تحديد وضعها في المجتمع، ساعيةً إلى تغيير بنية المجتمع كله. تبرز الهويّة بصفتها مشروعًا حينما تتجذّر الهويّة المقاومة ويتجاوز همّها الاندماج في المجتمع أو النظام، بل رفضه النظام الذي يلفظهم ويواجههم والسعي نحو تغييره[١].

يرى كاستلز أن صعود المجتمع الشبكي يتّسم بانهيار شرعية الهويات المشرعنة جـراء العولمة الاقتصادية وتراجع قـدرة الدولة القومية وغيرها من المؤسسات التقليدية على منح مناصريها الاستقلالية والرفاه الاجتماعي اللازم، الأمر الذي يؤدي إلى انتشار الهويات المقاومة التي يلجأ إليها الأفراد بحثًا عن المعنى المحلي وبناء الاستقلالية في مواجهة انعدام السلطة وانعدام المعنى التي يعيشونها في ظل العولمة الاقتصادية والتقانية.

على ضوء ذلك، يمكننا القول إنّ أنماط الهويّة التي حدّدها كاستلز نتيجة تفاعل الهويّة في المجتمع الشبكي، يمكن اسقاطها على حالة الدول التي تواجه مشاريع العولمة على مستوى الاستلاب الثقافيّ وتصون سيادتها وهويتها الثقافيّة، وهذه هي الحال مع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة مقابل القوى الاستكبارية الغربية التي تشكّل منظومة عالمية من الاقتصاد والإعلام والثقافة شبيهة بماهيّتها الشبكة الرقمية. وعليه، كإشارة أولية، تصبح الهويّة المشرعنة في موضوعنا تمثّل القوى الاستكبارية

(١) كاستلز، نقلًا عن: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

التي تسعى إلى فرض رؤيتها على الآخرين، والهويات المقاومة تتجسّد بالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة قيادة وشعبًا، تناهض الاستكبار ومحاولات الفرض الثقافيّ والسياسي على كيانها. أما هويّة المشروع، فسنأتي على تبيانها لاحقًا عند دراسة خصائص الهويّة الثقافيّة التي بناها السيد علي الخامنئي في خطابه.

في سياق متّصل، لم يكن علم الاجتماع والإنتربولوجيا الحقلين العلميين الوحيدين الذين اشتغلا على مسألة الهويّة ورصد التحوّلات التي طرأت عليها بفعل العولمة الشاملة والانفتاح الثقافيّ مع الآخر، إنما انخرط في هذا الحوار المعرفي الجديد حقل العلاقات الدولية من بوابة دراسة الهويّة كرهان أمني جديد وقضية بقاء في مواجهة الأخطار والتحدّيات، فضلًا عن استكشاف دورها في تحديد المسألة الأمنية في سياق دولي شهد انتشار النّزعة الهوياتية القومية والإثنية والمذهبية، مقابل تفلّت النزعة المادية الرأسمالية من حقوق الإنسان وحق تقرير الشعوب ومحاولاتها المتوحّشة في الإبادة الثقافيّة والإقصاء.

في هذا الإطار، برزت مدرسة كوبنهاغن محاوِلةً إعادة تعريف الأمن عبر توسيع قطاعاته لتشمل الاقتصاد والسياسة والمجتمع والبيئة، طارحة للمرة الأولى الأمن المجتمعي إطارًا نظريًا جديدًا تعتبره الأكثر انسجامًا لتحليل الظاهرة الأمنية في أعقاب الحرب الباردة.

يُعرّف بيوزان، أحد أهم روّاد مدرسة كوبنهاغن، الأمن على أنه «العمل على التحرّر من التهديد وقدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقلّ وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي يرونها معادية. فالحد الأدنى للأمن بحسب بيوزان هو البقاء، ولكن يتضمن إلى حد معقول سلسلة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط حماية هذا

الوجود». ويرى بيوزان أن الأمن قوامه العلاقة الجدلية القائمة بين ثلاث مستويات مختلفة من التحليل: الفرد - الدولة - النظام الدولي[١].

تجاوز بيوزان التصوّر التقليدي الذي يعتبر المجتمع مجرّد قطاع من قطاعات أمن الدولة، وقدّمه ككيان قائم بحدّ ذاته وموضوع متميّز للأمن، ربطًا بما أحدثته العولمة من تأثيرات على الهويات المجتمعية التي وجدت نفسها مهدّدة بمجموعة مخاطر مرتبطة بتدفق الهجرات والاستيراد القسري للثقافات الأجنبية المغايرة، فجعل من الأمن المجتمعي قطاعًا جديدًا للأمن يتمحور حول الهويّة ويُعنى بدراسة «مدى قدرة المجتمع في الحفاظ على سماته الخاصة في سياق من الظروف المتغيّرة وتهديدات فعلية أو محتملة، وكذلك يحاول فهم المسار الذي تدرك من خلاله جماعة ما أن هويتها مهدّدة، لأنه على هذا الأساس تبدأ التصرّف بطريقة أمنية»[٢].

استكمالًا لما بدأه بيوزان، طرح ويفر المجتمع كمرجعية أمنية في الدراسات الأمنية، متبنّيًا فهمًا ثنائيًا للأمن يمزج بين أمن الدولة المتمحور حول السيادة، والأمن المجتمعي المتعلّق بالهويّة، وعليه، بحسب ويفر، يصبح شرط بقاء الـدول في حماية سيادتها، أما شرطُ بقاء المجتمع فيكمن في حماية هويته. انطلق ويفر في طرحه بناءً على تصوّر المجتمع على «أنّه سلسلة الأفكار والممارسات المحدّدة للأفراد كأعضاء

(١) سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، ص ١٠٨ - ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٤.

من مجوعة اجتماعية، وهو يتمحور حول الهويّة والتصور الذاتي للطوائف وللأفراد الذين يعرّفون ذواتهم كأعضاء من طائفة معيّنة»[١].

وفي سياق متّصل، قدّمت المدرسة البنائية أطروحتها الخاصة في هذا المجال، منطلقة من أساس أن الهويّة هي عامل محدد في السياسة الدولية، وتساهم في تفسير سلوكيات الدول على المستوى الإقليمي والعالمي، وكذلك تساهم في توليد المصالح الأمنية.

يوضّح وينت، وهو أحد أهم الباحثين في المدرسة البنائية، هذه المسألة بالقول «إنّ الهويات تحدد ماهية الفاعلين، في حين تعكس المصالح ما يودّ هؤلاء الفاعلون الحصول عليه، فالمصالح تقتضي وجود الهويات، والفاعل لا يمكنه أن يحدّد مصلحته من دون أن يعرف من هو أولًا»[٢].

يناقش البنائيون في أن هويّة الدولة تلعب دورًا كبيرًا في تحديد ما الذي تريد أن تؤمننه، ضد ماذا، وضد من، فهويّة الدولة والتفاعل الذي يحدث بينها وبين دولة وأخرى يحدد ما الأمن على الصعيد الدولي، وهو الذي يفسّر السلوكيات الأمنية للدول. بحسب البنائية، الهويّة ترسم الحدود بين الـ «نحن» والـ«هم»، وبين الذات والآخر، وتحدّد معايير السلوك الملائم للذين يُعتبرون كجزء من الـ«نحن»، وتجاه أولئك الذين يصنّفون من «الآخر»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٣) محمد الطاهر عديلة، «الأمن والهويّة في العلاقات الدولية: قراءة في مضامين وحدود التصوّر البنائي»، ص ٢٠.

وترى النظرية البنائية أن السياسة العالمية هي بناء اجتماعي مكوّن من قيم وعقائد وأفكار تؤثر بدورها على إدراكات الدول للعالم وعلى تصوّر دورها في هذا العالم، وهذه الإدراكات بدورها في تفاعل دائم بين الدول التي تحدث تأثيرها على تشكيل هوياتهم ومصالحهم. من هنا، تصبح، وفق التيار البنائي، الهويّة والمصالح متغيّرين ذاتيين داخل نظام من التفاعلات بين الدول[١].

حاول أحد روّاد المدرسة البنائية كاتزنشتاين الإجابة على العناصر المشاركة في تشكيل الهويّة المحدّدة لمصادر التهديد ولتصوّرات الدولة حول الأمن، فحصرها في ثلاث:

- التمثيل الذي يجسّده أعضاء الدولة لها ولمكانتها ولدروها في النظام الدولي.
- تصوّرهم للنظرة التي تمتلكها الدول الأخرى عنهم.
- التصوّر الذي يمتلكونه عن النظام والدول الأخرى المشكّلة له، فإدراك الآخر يؤثر على متخذ القرار بمتقضى أنّ الخارج قد يكون صديقًا أو حليفًا، أو خصمًا أو عدوًّا، أو محايدًا[٢].

وفي مطلع التسعينات، برزت المدرسة النقدية كتوجّه جديد يحاول إعادة اكتشاف العلاقات الدولية من منظور أخلاقي، ويبحث في تغيير النظام العالمي الرّاهن الذي أفضى إلى انهيارات اقتصادية في العالم،

(1) Alex Macleod, Isabelle Masson et David Morin, «Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales,» p. 17.

(٢) سليم قسوم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، ص ١٣٧.

وصعّد من وتيرة العنف السياسي، وألحق الدمار بالطبيعة، نتيجة تحكّم القوى الكبرى في النظام خدمة لمصالحها.

يعتقد أنصار النظرية النقدية أن الوحدة المرجعية للأمن لم تعد محصورة في الدولة، إنما باتت تشمل الفرد وبالمعنى الأوسع «الإنسان»، وذلك نظرًا لتزايد حجم التهديدات وتعقيداتها. تعرّف المدرسة النقدية الأمن - وتحديدًا الأمن الإنساني - على أنه «حماية الأفراد من التهديدات المصاحبة وغير المصاحبة بالعنف، وانتفاء المساس بالحقوق الأساسية للأشخاص بأمنهم وبحياتهم [...] وتساهم في سعادة كل البشر»[١].

ولما كان تعريف الأمن مرتبطًا بالأمن الإنساني في فكر المدرسة النقدية، طُرح مفهوم «الانعتاق» بوصفه الممارسة الأمثل والسبيل الأوحد لتحقيق هذا الهدف. يُقصد بمفهوم الانعتاق، وفق المدرسة النقدية، تحرير الناس - أفرادًا وجماعات - من القيود المادية والإنسانية، سواء الفقر وسوء التعليم والقمع السياسي من تجسيد خياراتهم». والانعتاق يعني بحسب باحثين آخرين «السعي نحو معرفة الحقيقة وإدراكها، وكذلك التحرّر من الجهل، بالإضافة إلى السعي نحو العدالة أو الحرية من الاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي»[٢].

بحسب المدرسة النقدية، الأمن والتحرر هما وجهان لعملة واحدة، والانعتاق نظريًا هو الأمن»[٣]، كما أنّ الانعتاق يُعرّف على أنه «خطاب للسياسة، يسعى إلى حماية الناس من الجور والقيود التي تحدّ من تنفيذهم لما اختاروه بحرية بالتوافق مع حرية الآخرين، وهو يمنح إطارًا

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٣) كين بوث، نقلًا عن: قوجيلي، سيد أحمد، «فهم الأمننة: مقاربة نقدية للدراسات الأمنية»، ص ٣٧.

ثلاثيًا للسياسة كمرسى فلسفي للمعرفة ونظرية لتطوّر المجتمع وممارسة لمقاومة الظلم، فهو فلسفة ونظرية وسياسة لاكتشاف الإنسانية»[١].

لازمت دراسة الخطاب مسألة دراسة الأمن والنظام الدولي في المدرسة النقدية؛ لأن الخطاب بحسب هذه المدرسة يعكس «بناءً سياسيًا يستجيب للمصالح والقيم والمعايير المكوّنة لهويّة النخبة التي لها السلطة في أمننة قضية ما وكذلك في تحديد عدوّها»، ويُساهم في شرعنة الهويّة والدفاع عنها عبر خلق ثنائية «نحن» و«هم»[٢]؛ وعلى هذا الأساس، يصبح الخطاب، بحسب المدرسة النقدية، انعكاسًا لتصورات وهويّة الجهة، وفي الوقت عينه مساحة لغوية تعيد بناء الهويّة عبر رسمها حدود الذات والآخر، بمعنى آخر خلقها عالمًا من العلاقات الدولية، وهذا ما يجعل من تشكل الهويّة وبنائها في الخطاب عملية تحوي ضمنها صراعًا.

أما فيما يخص مفهوم الهويّة، فتربطه المدرسة النقدية بمفهوم «المخيال الأمني»، security imaginary، وهو العامل الأساس في تحديد معالم الهويّة. ويُقصد بالمخيال الأمني «بنية من التفسيرات والعلاقات المجتمعية تستطيع خلق عالم من العلاقات الدولية ... وهو يجيب على الأسئلة التالية: من نحن؟ ماذا نمثل لبعضنا؟ أين نحن وماذا نريد، وماذا نرغب، وماذا ينقصنا؟»[٣].

---

(١) كين بوث، نقلًا عن: قسوم، سليم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(3) Alex Macleod, Isabelle Masson et David Morin, «Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales,» p. 19.

٢. الأمن الثقافيّ

إثـر مـحـاولات القوى المهيمنة فـرض ثقافة عالمية مـوحّـدة تلغي خصوصيات الشعوب من بوابة العولمة وانفتاح السوق، صارت الهويّة الثقافيّة للدول ذات السيادة المستهدف الأساس في قرن «العنصرية التفاضلية»، أو ما يُعرف بـ«الاستعمار ما بعد الحديث»، هذا ما جعل الأمن الثقافيّ ضـرورة استراتيجية ملحّة لضمان الخصوصية الثقافيّة ولتحصين البناء الحضاري للدولة. من هذا المنطلق، أدرج الأمن الثقافيّ في أجندة مراكز القرار وصناعة السياسات في الدول كأحد أهم قطاعات الأمن القومي، تصاغ له استراتيجيات وتصرف له ميزانيات.

يُعرّف الأمن الثقافيّ على أنّه الطريق لصد الغزو الثقافيّ أو عملية الحصانة ضد الغزو الثقافيّ الذي قد يوجه ضد بلد ما، وذلك عبر اتخاذ إجراءات تهدف إلى خلق ظروف قابلة لتنمية وتطوير الثقافة لحماية نفسها والتكيّف مع المتغيّرات، وهو يهتم بثقافة البلد وأدواتها ووسائلها ومؤسساتها من أي مؤثّرات خارجية قد تهدّد القيم الثقافيّة والرمزية للدولة، ويضمن استمرارية المجتمع في مواجهة التيارات الثقافيّة الوافدة عبر تحصين مكوّنات الثقافة الأصيلة من محاولات الاختراق من الخارج[١].

ينطلق الأمن الثقافيّ من مرتكزين أساسيّين يُشكلان ثنائيّة متكاملة نحو بناء هويّة ثقافية متماسكة على مستوى الذات ومتفاعلة مع الآخر، والعنصران هما:

١. الاعتزاز بالذات الثقافيّة الحضارية: إتاحة الفرصة والحرية للثقافة الذاتية أن تعبّر عن نفسها بما تمثّله من رموز وأفكار

(١) الخضيري، زينب، «الأمن الثقافي».

وقيم، وتربية المواطن على ضوئها وهداها وتعزيز إيمانه بالدور الحضاري الذي يمكن أن تؤدّيه هويته الثقافيّة على مستوى العالم.

٢. الانفتاح والحوار مع الثقافات المعاصرة: وهو شرط أساسي ومتكامل مع العنصر الأول من أجل صيانه الأمـن الثقافيّ واستمرارية فعله الجماعي، وهو يتحقق في التفاعل مع الحضارات والثقافات الأخرى في مختلف المجالات العلمية والثقافيّة.

تَتشابه إستراتيجيات الدّول وخططها للحفاظ على هويتها الثقافيّة وتحقيق الأمن الثقافيّ الشامل، وذلك من خلال الاطلاع على العديد من الدراسات والبحوث في هذا الإطار، نجد أنها تشترك غالبيتها في عدد من العناوين تشكّل محددات أساسية لبناء نموذج لإستراتيجية الأمن الثقافيّ. والعناوين هي:

- تحديد المخاطر الأمنية.
- تحديد مستوى المخاطر الأمنية [منخفض - متوسط - عالٍ].
- تحديد مصادر التهديد [داخلي/ خارجي].
- تحديد نوعية المهاجم [جماعات، مفكرون، جواسيس، عملاء، دول، ...].
- تحديد طبيعة التهديد أو الخطر [عقائدي - نفسي - ديني - سياسي - ...].
- تحديد نقاط القوة/ عناصر القوة.

- تحديد نقاط الضعف/عوامل ضعف الأمن الثقافيّ [مشكلات اقتصادية - صراعات فكرية - غزو ثقافي - تفكك أسري - ...].
- تعيين المؤسسات والجهات المساهمة في تحقيق الأمن الثقافيّ، وتحديد مهامها عبر خطط فرعية تحدد فيها الأهداف والوسائل [نقصد بالمؤسسات والجهات التالي: الأسـرة - المؤسسات التربوية - المؤسسات الإعلامية - مؤسسات المجتمع المدني - المؤسسات الثقافيّة].
- وضع الإستراتيجيات المضادة لاحتواء التهديدات عبر وضع برامج [تفعيل الحوار بين أفراد المجتمع وتحقيق الشراكات الفاعلة بين المؤسسات الثقافيّة المحلية والإقليمية - مراقبة محتوى المؤسسات الإعلامية المشبوهة - التحكم السيادي في وسائل الرقمنة - تحقيق السيادة السيبرانية كآلية لتحقيق السيادة الثقافيّة - رفع مستوى الإنتاج الثقافيّ ودعمه - تعزيز دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافيّة - تحقيق التكامل والتنسيق بين أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم والإعلام، ...].
- إستراتيجيات لبناء ثقافة ذاتية تعتزّ بثقافتها ولغتها وتراثها وإيمانها بدورها الحضاري.
- إستراتيجيات ترويج الثقافة الذاتية وحفظ موروثها الثقافيّ للأجيال القادمة.
- تفعيل الإجـراءات القانونية والتشريعية لسن قوانين تنظم الإنتاج والنشر الفكري والثقافيّ بين المجتمع المحلي ومختلف مجتمعات العالم.

- إستراتيجيات مواجهة التهديد:

وَرَدَ في دراسة تعود للدكتور إبراهيم بن محمد علي الفقي[١] نموذجًا لمواجهة أخطار الأمن الفكري تكوّن من العناصر التالية:

١. تحديد الخطر الفكري القادم: identification [الخطر من الداخل أم من الخارج، أو الاثنين معًا].

٢. توثيق الخطر الفكري authentication، بحيث يمكن التحقق بوجوده.

٣. الإقرار authorization: وجود خطر فكري - تحديد مستواه خطورته داخل المجتمع.

٤. حصانة الخطر الفكري immunity: تحديد مستوى حصانته وإمكانياته.

٥. التكامل: integrity تحديد مستوى حصانة الفرد والمجتمع من الخطر الفكري سواء، أكان الخطر مكشوفًا أم غير مفصح عنه.

٦. اكتشاف التسلل الفكري intrusion detection: تحديد المحاولات الناجحة والفاشلة في توغل الحطر الفكري.

٧. عدم الإنكار non repudation إنكار الخطر الأمني.

٨. الخصوصية أو السرية: مدى الاحتفاظ بسرية وخصوصية المعلومات الأمنية عن الأفراد والمجتمع عن الخطر الفكري.

---

(١) إبراهيم بن محمد علي الفقي، «الأمن الفكري: المفهوم - التطورات - الإشكالات»، ص ٣٥ - ٣٦.

٩. مراجعة الوقائع الأمنية: security auditing قدرة الأمن على مراجعة الوضع الأمني الفكري واستخدام آلية أمنية معينة لتحليله.

١٠. القدرة على البقاء survivability: قدرة النظام الأمني على الوفاء بمهامه من خلال توفير الخدمات الأمنية الضرورية.

١١. الحماية المادية physical protection للممتلكات الفكرية للأفراد والمجتمع.

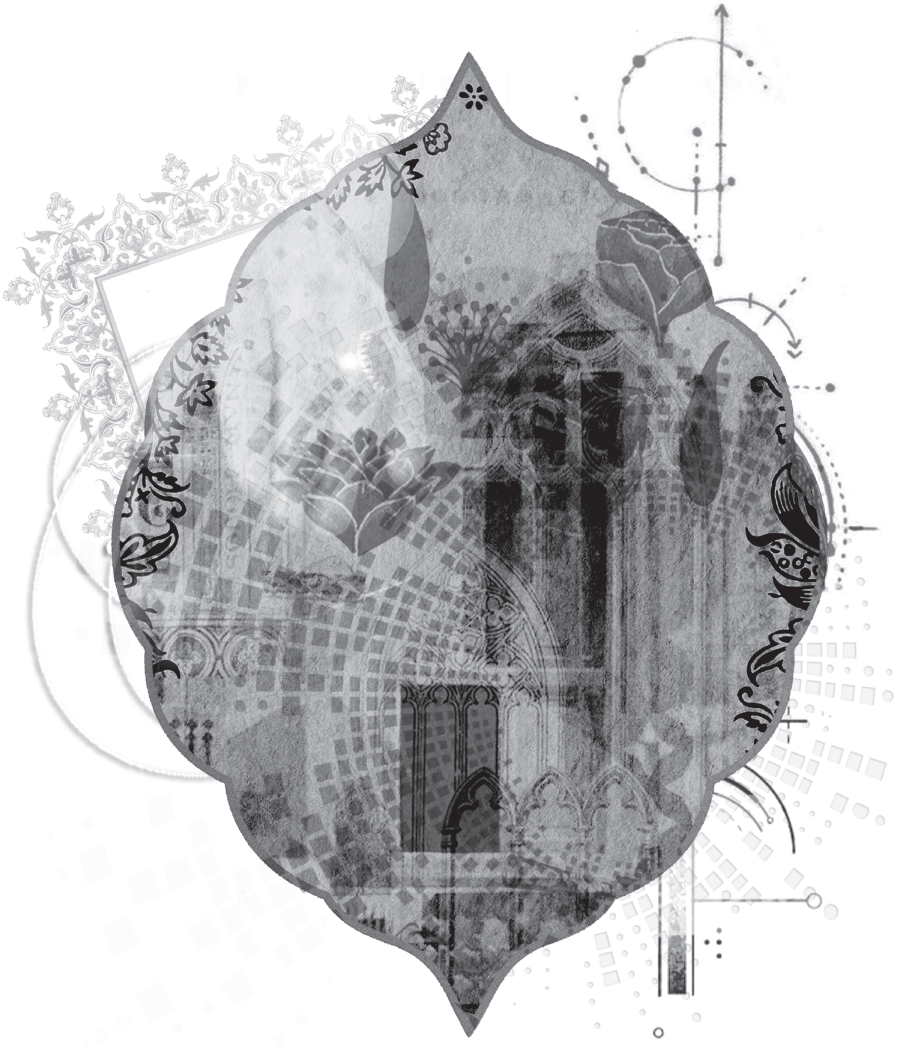

الفصل الثاني:
نظرية الأمننة

«... ما هو الأمـن؟ بمساعدة نظرية اللّغة يمكن أن نعتبر الأمن كفعل كلام. حسب هـذا الاستعمال، الأمـن ليس إشارة تُحيل إلى شيء ملموس: الكلام في ذاته هو الفعل».

أولي ويفر

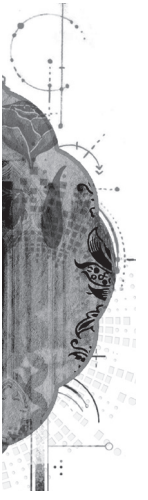

ينطلق السيد علي الخامنئي في مقاربة المسألة الثقافيّة من فرضية أنّ الميدان الثقافيّ كما الميدان العسكري هو محط هجوم وصراع. تتمظهر مقاربة الخامنئي لمسألة الثقافة في خطاباته في استخدامه مصطلحات الحرب العسكرية «مقرّ ثقافي - تهديد - هجوم - دفاع - عدو - خطر - اليقظة»؛ وذلك لخلق الوعي والتنبيه من خطورة ما أسماه بـ«الغزو الثقافيّ»، التي تستلزم من المسؤولين وأصحاب القرار وضع الثقافة في أولويات أجندتهم والتخطيط لتحقيق الأمن الثقافيّ، وهو أحد أهم قطاعات الأمن القومي للبلاد.

توظيف السيد الخامنئي القاموس العسكري في الخطاب واستدعائه المسؤولين للتفكير في الأمن الثقافيّ يُصبِغْ الخطاب الصبغة الأمنية، بحيث إنه يُحوّل قضية «ثقافة المقاومة والثّورة» إلى قضية أمنية تستدعي اللّجوء إلى ترتيبات خاصة، الغايةُ منها تأمين المرجعية أو الكيان محل التهديد من المخاطر المحدقة بها.

من هنا، استوجبت دراسة خطابات السيد الخامنئي حول موضوعة ثقافة المقاومة عبر مقاربتها من منظور أمني، وصولًا إلى استكشاف

في هذا السياق، تشكل نظرية الأمننة إحدى أهم المقاربات النظرية وأكثرها فائدة للإجابة على إشكالية البحث، كونها تشكل منهجًا لفهم الأمن، وتُبيّن دور الخطاب في تحويل القضايا إلى قضايا أمنية.

في هذا الفصل، سنخصص البحث في نظرية الأمننة وتبيان سياق تشكّلها ودورها في الدراسات الأمنية.

حاز مفهوم الأمن على اهتمام الباحثين والمفكّرين والسياسيين منذ الحرب العالمية الثانية حتى فترة الثمانينات، وأطلق على مجموع البحوث والأعمال الأكاديمية المتعلقة بموضوع الأمن اسم «الدراسات الأمنية الكلاسيكية». حينها اهتمت الدراسات حصريًا بأمن الدولة وكيفية الحفاظ عليه في مواجهة التهديدات العسكرية، وإن كان المشترك بين الدراسات الأمنية تأطير الأمن بمنظور دولتي، إلّا أنها تنوّعت في تعريف الأمن. ربطت مجموعة من الباحثين تعريف الأمن بحماية القيم الحيوية، أمثال والتر ليبمان (Walter Lippmann) الذي اختزل الأمن القومي في «المحافظة على القيم الأساسية في حالة السلم والحرب»، وكذلك أرنولد والفرز (Arnold Wolfers) عرّف الأمن «بغياب التدابير التي تهدد القيم المكتسبة، وعدم الخوف من تعرض هذه القيم للهجوم». واتجه آخرون نحو تعريف الأمن بـ«قدرة الدولة على صدّ العدوان الخارجي أو القدرة على متابعة مصالحها القومية بكل الوسائل وفي أي مكان في العالم»[1].

(١) سيد أحمد قوجيلي، **الدراسات الأمنية النقدية: مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن**، ص ١٠.

تمحورت الدراسات الأمنية في تلك الفترة حول موضوعين أساسيين: الحرب والقضايا المتعلقة بها (مثل الإستراتيجية النووية، والردع، ونزع السلاح، وشؤون الدفاع والعقيدة العسكرية)، والإستراتيجية باعتبارها مقدار القوة العسكرية المستعملة للأغراض السياسية. على إثر هذه الدراسات، تبلورت الأجندة البحثية التي عُرفت باسم «الدراسات الإستراتيجية».

تميّزت طروحات الدراسات الإستراتيجية بالخصائص والميزات التالية:

- انطلاقها من فرضيات النموذج الواقعي: مركزية الدولة، دوافع الدولة للقوة والأمن، محورية قضايا الحرب والنزاع.
- هيمنة مفهوم الأمن القومي واقتصاره على التهديدات ذات الطابع العسكري التي تواجه بقاء الدول واستقلالها.

يؤخذ على الدراسات الأمنية التقليدية إهمالها القواعد والمعايير وتاريخ التفاعل ونمط العلاقات وغيرها من العناصر المثالية في تعريف الأمن، واقتصارها على الجوانب المادية للتهديدات فقط، وهذا ما جعل منها «مقاربة تقليصية».

من هنا، تشكّلت حركة ما بعد الحداثة كردّ فعل على المشروع الحداثي الغربي، وقدّمت نقدها في مختلف المجالات الفنية والاجتماعية والأدبية والسياسية. ومع منتصف الثمانينات، انخرط الفكر ما بعد الحداثي في تخصص العلاقات الدولية لما كان يشهده من حالة ركود بسبب طغيان المنهج الوضعي في هذا المجال. قدّمت حركة ما بعد الحداثة نقدًا للمنهج الوضعي عبر إثارتها الشكوك حول موضوعية المعرفة للظواهر الاجتماعية، لإيمانها بأن «المعرفة مجرد معتقدات ذاتية مبنية على أوهام ذاتية»، وأظهرت مدى ارتباط المعرفة بالقوة في العلاقات الدولية، باعتبار

«أنّ القوة هي التي تنتج المعرفة والأخيرة بدورها تعزّز علاقات القوة». بناء عليه، أطلقت هذه الحركة برنامجًا نقديًا حمل عنوان: «دراسات أمنية معارضة» يرفض الأسس الوضعية، منطلقين من حقيقة «أنّ الخطاب الواقعي للدراسات الإستراتيجية أصبح مقاربة تكنوقراطية تحدد أسس السياسات الأمنية المتعالية كمقاربة أكاديمية فوق كل فكر نقدي، وهو ليس بريئًا بذاته؛ لارتباطه بشبكة من المصالح والقوة المنتجة»[١].

تناول ما بعد الحداثيين القضايا الأمنية كجزء من أجندة بحثية لتخصص العلاقات الدولية، ولكن مع تسعينات القرن الماضي، وكرد فعل على البيئة الدولية وبروز تهديدات جديدة (العنف والهويّة، الدولة ذات السيادة)، تأسّس حقل الدراسات الأمنية كمشروع مستقل بحد ذاته يعيد تعريف الأمن بطريقة جذرية. يأتي ذلك بعد بروز النظرية الاجتماعية النقدية والنظرية البنائية في الثمانينات، ثم النظرية الدولية النقدية في التسعينات، وهما نظريتان تشتركان في المنطلق ذاته باعتبار أن الأمن ليس معطى واقعيًا، إنما هو بناء اجتماعي؛ وبذلك دخلت الدراسات الأمنية مرحلة جديدة من تاريخها عُرف بـ:الدراسات الأمنية النقدية» التي اشتملت على ثلاثة مقاربات أساسية: «مدرسة كوبنهاغن Copenhagen»، «مدرسة Aberystwyth»، «مدرسة باريس»[٢].

ربطًا بموضوع بحثنا عن أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد علي الخامنئي، يهمّنا الإضاءة حصرًا على مدرسة كوبنهاغن وتوضيح عناصر نظرية الأمننة، لمقاربة النظرية التي استندنا عليها في تحليلنا لآليات وإستراتيجيات أمننة القضية الثقافيّة في الخطاب.

---

(١) سيد أحمد قوجيلي، «فهم الأمننة: مقاربة نقدية للدراسات الأمنية»، ص ٣٤ - ٥٤.

(٢) أمينة قلعي، «مدرسة كوبنهاغن: الأمننة ودور فعل الخطاب في تحديد المسألة الأمنية»، ص ١٩٨.

أولًا: تعريف مدرسة كوبنهاغن

أُطلقت تسمية مدرسة كوبنهاغن Copenhagen school على الأجندة البحثية للعلماء والباحثين الأكاديميين في معهد كوبنهاغن لأبحاث السلام Copenhagen Peace Research Institute في الدانمارك والذي تأسس عام ١٩٨٥ (Williams, 2008, p. 68). تبنّت مدرسة كوبنهاغن اتجاهًا رافضًا للتصوّر التقليدي للأمن الذي يحصر الأمن في القوة والإمكانيات العسكرية للدولة، مؤسسة بذلك مسارًا خاصًا في الدراسات الأمنية يعاود التفكير في مفهوم الأمن وتوسيعه من خلال تقديم إطار تحليلي أو أجندة أمنية أكثر اتساعًا وانفتاحًا على قطاعات ووحـدات مرجعية مختلفة، استجابة للتحوّلات التي شهدها العالم ما بعد الثنائية القطبية، وما فرضته من تهديدات جديدة على الدولة والمجتمع معًا.

تبلورت مدرسة كوبنهاغن مع بدايات التعاون بين عالمين اثنين هما: باري بيوزان وأولي ويفر. استفاد ويفر من توسيع بيوزان لتوسيع قطاعات الأمن بنقل التركيز من العسكري إلى القطاع المجتمعي، فيما استفاد بيوزان من ويفر إعادة تعريفه الأمن في إطار الممارسات الخطابية للفواعل الأمنية.

استحدثت مدرسة كوبنهاغن إسهامات نظرية مهمّة وأدوات تحليلية جديدة لفهم الديناميات الأمنية ودراسة الظاهرة الأمنية بكل تعقيداتها، أهمّها: قطاعات الأمن sectors، الأمن المجتمعي، نظرية الأمننة، الأمن الإقليمي المركّب[1].

(1) Williams, P., *Security Studies An Introduction*, p. 68.

توسيع «قطاعات الأمن»:

أولى معالم قطيعة مدرسة كوبنهاغن مع الفكر الأمني التقليدي تمثّل في نظرية توسيع مجال الدراسات الأمنية لتشمل القطاعات الأخرى: العسكر، السياسة، الاقتصاد، البيئة، المجتمع. انطلق المفكر باري بيوزان في نظريته هذه من فرضية أنّ الدولة في عصر ما بعد الحرب الباردة باتت تواجه مجموعة كبيرة من مصادر التهديد الداخلية والخارجية التي تلقي بثقلها على العديد من القطاعات الأخرى، محاولًا بذلك الإجابة على سؤال «الأمن من ماذا»[١].

الأمن المجتمعي:

هو واحد من قطاعات الأمن الخمسة التي حدّدها المفكّر بيوزان في كتابه **people states and fear** ضمن مقاربته التوسعية لمفهوم الأمن، مع طرح «الأفراد» كوحدة للتحليل، لكن ليس كوحدة مرجعية، باعتبار أن الدولة هي الوحدة المرجعية الأساسية في إطار إشكالية الأمن[٢].

عرّف بيوزان الأمن المجتمعي على أنّه «قدرة المجتمعات على الاستمرار مع المحافظة على خصوصيتها في سياق من الظروف المتغيّرة والتهديدات القائمة أو الممكنة»[٣].

فيما بعد اقترح أحد رواد مدرسة كوبنهاغن المفكر أولي ويفر إعادة صياغة نظرية بيوزان الأصلية من نظرية القطاعات الخمسة من أمن الدولة إلى نظرية «إزدواجية أمن الدولة وأمن المجتمع»، ما يعني

(1) Ibid., p. 68.

(٢) صباح بالة، «مدرسة كوبنهاغن في تفسير الدراسات الأمنية».

(٣) خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٤٠.

جعل «المجتمع» موضوعًا مرجعيًا للأمن، واعتبار «الهويّة» كقيمة موضع تهديد»[١].

توصّل ويفر إلى نظريته في ظلّ سياق دولي يتمثّل بظهور صراعات عرقية ودينية في الجمهوريات السوفياتية بعد الحرب الباردة، إضافة إلى تزايد الضغوط المجتمعية بفعل التدفّق المستمر للمهاجرين، ما يشير إلى أن التهديد لم يعد موجهًا إلى بقاء واستقلال الدول، إنما إلى الجماعات الاجتماعية كالأقليات والمهاجرين[٢].

يعزو ويفر السبب الأساسي في ظهور «المعضلة الأمنية المجتمعية» إلى انحلال نظام الدولة وانتقال قدرة ممارسة العنف الشرعي إلى أطراف أخرى جديدة تشعر بأنها مهدّدة في هويتها من جراء الهجرة والاندماج أو الاستعمار الثقافيّ، وبذلك يستعدّون لمحاولة الدفاع عن أنفسهم»[٣]. حدّد ويفر أسلوب الجماعة في مواجهة التهديد الخارجي لهويتها عبر تعزيز التماسك بالهويّة الثقافيّة كاستجابة دفاعية، واستخدام الوسائل الثقافيّة لتعزيز التميّز المجتمعي[٤].

الأمن الإقليمي المركّب:

يشير المفهوم بحسب تعريف بيوزان وويفر إلى مجموعة من الوحدات التي تقوم بعمليات الأمننة أو نزع الطابع الأمني عن القضايا الأمنية بشكل مترابط جدًّا بحيث إنّ أوضاعها الأمنية الوطنية لا يمكن بحثها

(١) سيد أحمد قوجيلي، **الدراسات الأمنية النقدية مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن**، ص ٨١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠ - ٨١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨٤.

واقعيًا بمعزل عن بعضها[١]. وهو مفهوم ملازم لمفهوم النظام الإقليمي الذي يتشكّل حينما يصل نسق التفاعلات السياسية بين القوى الجهويّة لمنطقة ما إلى مستوى معيّن من الكثافة، بحيث يمكن قياس كثافة ودرجة هذه التفاعلات بحدوث الصراعات والحروب من جهة، ومظاهر التعاون والتحالف من جهة أخرى[٢]. يرى بيوزان أن العوامل المتحكّمة في ديناميكيات التفاعل داخل مركّبات الأمن الإقليمية تتحدّد في المتغيّرات التالية:

١. علاقات العداوة والصداقة التاريخية، وهي ليست محصورة بتوازن القوى إنما قد يكون مردّها إلى الأيديولوجيا والتلاحم والقرب الجغرافي[٣].

٢. التخومية: أي القرب الجغرافي الذي يعني في جوهره الإستراتيجي التأثير الأمني المبتادل بين الوحدات السياسية، ما يعني أنّ أي خلل أمني تشهده دولة قد يصدر أنماطًا مختلفة من عدم الاستقرار خارج حدودها، الأمر الذي يحوّلها إلى محل خطر وتهديد للدول المجاورة لها[٤].

٣. الاعتماد الأمني المتبادل: يعتبر مبدأ التخومية ووجود وحدات سياسية قوية تشكّل قلب مركب الأمن الإقليمي إحدى أبرز

(١) محمد حمشي، «أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا»، ص ٣.

(٢) خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) محمد حمشي، «أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا»، ص ٣.

عوامل تحفيز الاعتماد الأمني المبتادل[١]. وتعبّر مفردة «الإقليمي» في مفهوم الأمن الإقليمي المركّب عن خاصية البناء الاجتماعي، فالبناء الإقليمي بحسب بوزان وويفر ينشأ عن إدراك مشترك من قبل الفاعلين للتهديدات والمخاطر الأمنية إذ يصبح التنسيق الإقليمي الآلية المناسبة لتشكيل الهويّة المشتركة، ما يعزّز الاعتماد الأمني المتبادل[٢]. حدّد الباحث سليمان عبد الله الحربي مجموعة شـروط واجـب توفّرها لتحقيق التعاون الأمني، بالتالي قيام منظومة أمنية تشكّل القاعدة الأساسية أو الهيكل الأساسي لمركبات الأمن الإقليمية، وتتمثّل هذه الشروط في:

- وجود نخب سياسية تلتزم بالتعاون وتكون مؤمنة بعوائد هذا الاتفاق.
- وجود رأي عام ضاغط لتحقيق هذا التعاون.
- وجود تدخلات خارجية إيجابية ذات مصلحة في قيام واستمرار هذا التعاون، إضافة إلى توفّر ظرف إقليمي أو عالمي يتضمّن تهديد أمن مجموعة من الأطراف، ويتحوّل إلى عامل خارجي ضاغط.

(١) نقلًا عن: خديجة خضراوي، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، ص ٩٣.

(٢) نقلًا عن: المصدر نفسه، ص ٩٧.

ثانيًا: نظرية الأمننة

الأمننة مفهوم يُشير إلى تصنيف قضية ما بوصفها قضية أمنية، وذلك عبر عملية ذات بنية خطابية يتم من خلالها بناء فهم بينذاتي داخل جماعة سياسية من أجل التعامل مع ظاهرة ما على أنها تهديد وجودي لموضوع مرجعي ذي قيمة لتلك الجماعة، وهو ما يسمح بالتمكين للدعوة إلى اتخاذ تدابير عاجلة واستثنائية للتعامل مع هذا التهديد[1].

الأمن كـ«بناء اجتماعي»:

اقتبست مدرسة كوبنهاغن في تصورها الأمن كبناء اجتماعي من المقاربة البنائية، وكذلك اتفقت معها على محورية الهويّة ودورها في تشكيل مصالح الفواعل الأمنية.

استُعمل مصطلح البنائية للمرة الأولى في تخصص العلاقات الدولية في كتاب **عالم من صُنعنا** في العام ١٩٨٩ على يد نيكولاس أوناف Nicholas onuf.

فرضت البنائية نفسها كمقاربة نظرية في العلاقات الدولية منذ بدايات الثمانينات من القرن الماضي، هي مُركّب من مقاربات نظرية في علم الاجتماع ومن النظريات النقدية.

تعتقد البنائية أنّ السياسة العالمية مبنية بشكل اجتماعي، وأنّ بُنيتها ليست مادية، بل اجتماعية تقوم بتمثيل وتشكيل هويات ومصالح

(1) Buzan, B. & Waever, O. & Jaap de Wilde, *Security a new framework for analysis*, p. 23 - 25.

الفواعل وليس سلوكها فقط. تتكوّن البنى، فضلًا عن العناصر المادية[١]، من عناصر مثالية: الهويّة - الأفكار - القواعد والمعايير والمعتقدات والثقافة والرموز وغيرها. تمتلك العناصر المثالية وجودًا موضوعيًا، بحيث يُقاس وجود العناصر المثالية بمدى قدرتها على إنتاج تأثيرات جديرة بالملاحظة أو قابلة للتلاعب عبر الفواعل الإنسانية. تمارس العناصر تأثيرها عبر مساعدة جماعة معينة من الناس على إدراك أنفسهم وتصوّرهم لبلدهم كدولة مستقلة، أو ذات سيادة، والنظر إلى أنفسهم على أنهم مختلفون عن الشعوب الأخرى من الناحية الثقافيّة أو الدينية أو العرقية. وتؤكد أن الفاعل والبنية يشكلان بعضهما بعضًا بشكل متبادل.

تُصوّر البنائية الأمن كبناء اجتماعي، يختلف باختلاف السياق. ويُتصوّر كموقع للمفاوضات والتحدّي في الوقت نفسه، بين القادة السياسيين، وتحدّ بين الفواعل الذين يحملون تصورات مختلفة حول ما يعتبر تهديدًا وما يعتبر آمنًا.

الأمن بالنسبة للبنائية نتاج العملية التفاعلية التشاركية التي تحدث بين مختلف الفاعلين والتي بمقتضاها يتم بناء مفهوم ما للأمن والتهديد، بالتالي تصبح المعضلة الأمنية ناتجة عن تفاعل بين إدراكات وتصوّرات وأفكار وقيم فاعلين متصارعين يتبادلان شعور القلق والخوف والارتياب. والمعضلة الأمنية ليست ظاهرة حتمية، إنما بناء اجتماعي دائم التشكيل من طرف الفواعل الدولية التي تحدد ما الأمن. فالفوضى ما صنعته الدول والأمن ما ترغب الدول في تحقيقه، على حدّ تعبير ونت.

---

(١) العناصر المادية، بحسب الماديين، خمسة: ١) الطبيعة البشرية ٢) المصادر الطبيعية ٣) الجغرافيا ٤) قوى الإنتاج ٥) قوة الدمار.

وعن علاقة الأمن بالهويّة، يعتقد البنائيون أن هويات الفاعلين تتحدّد عند تمايز الأنا عن الآخر، وأن الخطوة الأولى في الدراسات الأمنية البنائية تتمثّل في كشف العلاقة القائمة بين مفهوم الأمن ومفهوم الآخر كعملية تشكيل للهويّة. فبحسب ألاكس ماكليود «إدراك التهديد وتصورات الأمن مرتبطة بشكل وثيق بتعريف الهويّة الوطنية»[١].

فالهويّة، وفق روّادها، ترسم الحدود بين الذات والآخر، وتترتّب على أساسها معايير السلوك نحو ما يعتبر جزءًا من نحن، وتجاه أولئك الذين يُعتبرون من «الآخر». كما أنّ الهويّة تشكل المصالح والأفعال حيث أنّ تعريف الفواعل لهويتها كفاعل دولي يلتزم بدور عالمي أو إقليمي يُعدُّ أمرًا حاسمًا في تعريف وتشكيل مصالحها. وهذا من شأنه، أن تقوم الهويّة بتقرير وتوجيه السلوك أو الفعل الاجتماعي انطلاقًا من تقريرها لماهية المصالح التي تعكس خصائصها.

الأمن كـ «فعل كلامي»:

ظهرت نظرية الأمننة لأول مرة في أعمال «أولي ويفر» حول الأبعاد الخطابية للأمن، ليقوم ويطوّرها لاحقًا مع فريق بحث معهد كوبنهاغن للدراسات الأمنية. استند ويفر في نظرية الأمننة على أعمال المفكّر اللّغوي جون أوستين حول «أفعال الكلام» الـذي صنّفها في ثلاثة مستويات: الفعل الإخباري غير منتج للفعل، يخضع لحكم الصدق والكذب، وهناك الفعل التأثيري المقصود به التأثير المنشود الذي يريده

(١) محمد الطاهر عديلة، «الأمن والهويّة في العلاقات الدولية: قراءة في مضامين وحدود التصوّر البنائي»، ص ٢٢.

المتكلم في المستمع ودفعه للقيام بفعل معيّن. وأخيرًا الفعل التحقيقي هو فعل الكلام ذاته، أي إنجاز فعل في حال قول شيء.

اقتبس ويفر من نظرية أوستين مفهوم «الفعل التحقيقي»، وحاول اكتشاف ماهيّته في مجال الأمن، وقد توصّل ويفر إلى طرح مفهوم بديل للأمن يقوم على تصوّره كـ«ممارسة خطابية» أو «فعل كلام». «... ما هو الأمن؟ بمساعدة نظرية اللّغة يمكن أن نعتبر الأمن كفعل كلام. حسب هذا الاستعمال، الأمن ليس إشارة تُحيل إلى شيء ملموس: الكلام في ذاته هو الفعل». وعليه، ووفقًا لمنظور أفعال الكلام، تصبح القضية أمنية حينما يتمّ التكلّم عنها بمفردات أمنية، الأمر الذي يمنح المتكلّم القدرة على تحريك الأمننة من خلال تعريف حالة معيّنة على أنها تنتمي إلى صنف معيّن من الأمن، حيث تميل الدولة إلى استعمال كل الوسائل المتوفرة لمحاربتها، وهذا عكس التصوّر التقليدي للأمن، حيث تحوّل من شيء موضوعي ملموس إلى مرجعية ذاتية تتشكّل في شخص المؤمنن. وعلى الرغم من أنّ ويفر أولى حيّزًا مهمًا في تفسير دور الفاعل المؤمنن في عملية الأمننة، إلّا أنّه لم يغفل دور الجمهور بل حصر فيه شرط نجاح العملية أو فشلها، انطلاقًا من تصوّره البنائي للأمننة كعملية تفاعلية بين الفاعل المؤمنن والجمهور[١].

تطوّر عملية الأمننة:

بحسب ويفر، تمرّ عملية الأمننة بثلاث مراحل تنقل القضية من مجال السياسة العادية إلى عالم «سياسة الطوارئ»[٢].

(١) سيد أحمد قوجيلي، «فهم الأمننة: مقاربة نقدية للدراسات الأمنية»، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٨.

المرحلة الأولى: الأمننة الخاصة

تبدأ بتحديد المشكلة الأمنية بوصفها «تهديدًا وجوديًا» في خطاب الفاعل المؤمنن والذي غالبًا ما يكون من نخبة الدولة أو السلطة؛ مما يؤدي إلى رفع القضية إلى الأجندة الأمنية للدولة، لإعطائها صيغة الأولوية وإدراجها ضمن الأجندة السياسية والأمنية للدولة[١].

المرحلة الثانية: التأثير في الجمهور

ترتبط بمدى «قوة الخطاب الأمني» وقدرته على التأثير في الجمهور. هنا ينحصر تلقّي الجمهور للخطاب ضمن اتجاهين اثنين: إما قبول الجمهور بتعريف السلطة لقضية ما على أنّها تهديد وجودي، وإما رفضه لها، وهنا تفشل عملية الأمننة، وتتوقف عند هذه المرحلة؛ أما في حال تبنّي واعتراف الجمهور بالقضية الأمنية، عندها تتنقل عملية الأمننة إلى مرحلتها الثالثة، وهي مرحلة «اتّخاذ التدابير الطارئة واللجوء إلى الإجراءات الاستثنائية[٢]. يطلق على هذه المرحلة عنوان «فعل الطوارئ» التي تعطي الحق لممثل الدولة في استخدام أي وسيلة ضرورية لمنع تطور التهديد[٣].

وبناءً على هذا التعريف، يؤدي الخطاب فعلَ الأمننة عبر تضمينه وحـدات مركزية تتبلور فيما بينها علاقة تفاعلية تشكّل أساس نجاح العملية الأمنية، ويمكن حصر هذه الوحدات في التالي:

(١) عزيز نوري، «الخطاب الأمني الأورومتوسطي تجاه ظاهرة الإرهاب بين الأمننة واللاأمننة»، ص ٧٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢.
(٣) أمينة قلعي، «مدرسة كوبنهاغن: الأمننة ودور فعل الخطاب في تحديد المسألة الأمنية»، ص ٢٠٩.

١. الكيان المرجعي: يقصد به الأشياء التي تتمتّع بشرعية البقاء والتي ينظر اليها بأنّها مهدّدة وجوديًا. قد يكون الكيان المرجعي فردًا أو مجتمعًا، وفي حالة الأمن المجتمعي، تكون هويّة المجتمع هي الكيان المرجعي المهدّد.

٢. فاعل الأمننة: المسؤول عن الفعل الخطابي والمكلّف بأمننة القضية قد يكون صانع قرار الدولة أو النخبة الحاكمة.

٣. الفعل الخطابي: المقصود به «فعل الكلام» الـذي يشتمل على مجموعة التعبيرات والمفردات التّخصصية المستخدمة من «فاعل الأمننة» لمخاطبة التهديد الوجودي المفترض، وإضفاء الصبغة الأمنية عليه، وهذا من أجل حماية «الكيان المرجعي»[١].

٤. الجمهور: هو الطرف الثاني والأسـاس في عملية الأمننة، وهو المعني بقبول تصوير قضية معينة على أنها تهديد أو رفضها، باعتبار أن عملية الأمننة هي «فعل تذاتاني» بين الفاعل المؤمنن والجمهور[٢]. بحسب مفكّري مدرسة كوبنهاغن يتطلّب نجاح إقناع الجمهور بأمننة القضية توفّر شروط صُنّفت ضمن نوعين:

- شرط داخلي لغوي قواعدي: اعتماد لغة أمنية وتحديد التهديد الوجودي

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٠.

(٢) عزيز نوري، «الخطاب الأمني الأورومتوسطي تجاه ظاهرة الإرهاب بين الأمننة واللاأمننة»، ص ٧٣.

- شرط خارجي، اجتماعي، سياقي للخطاب: منزلة ومكانة الفاعل المؤمنن / التدابير المتخذة للسيطرة على التهديد[١].

المرحلة الثالثة: مأسسة الأمن

تمثّل «مأسسة الأمننة» المرحلة الأكثر تطورًا في التعاطي مع قضية تمّت أمننتها، حيث يصبح تكرار الخطابات جزءًا أساسيًا من السياق الروتيني في المؤسسات والممارسات المؤسساتية، وتتحوّل القضية المطروحة من تهديد وجـودي إلى مشكلة تستدعي من المسؤولين تقويم ومراقبة المشكلة، وبالتالي السيطرة على التهديدات[٢].

تتطوّر عملية مأسسة الأمننة على مستويات متعدّدة:

١- المستوى الاستطرادي: يرتكز على إعادة مفهمة الأمن من صنف التهديد إلى صنف الخطر، والانتقال من خطاب الطوارئ إلى الخطاب الإداري.

٢- مستوى الفواعل الأمنية: تنتقل المسؤولية من النخبة السياسية الموكلة بنشر الخطاب الأمني إلى النخبة البيروقراطية لتطبيق الإجراءات العملية.

٣- المستوى غير الاستطرادي: تُستبدل التحركات الأمنية المهيمنة في المرحلة الأولية للأمننة بالممارسات والتقنية التي تُعيد إنتاج منطق الأمن.

---

(1) Buzan, B. & Waever, O. & Jaap de Wilde, *Security a new framework for analysis*, p. 33.

(٢) قلعي، أمينة، «مدرسة كوبنهاغن: الأمننة ودور فعل الخطاب في تحديد المسألة الأمنية»، ص ٢١٦.

المرحلة الرابعة: مرحلة نزع الأمننة

عودة القضايا المؤمننة من الحالة الاستثنائية إلى السياسة العادية، ليتمّ التعامل معها وفق القواعد الديمقراطية. تحويل القضية إلى موضوع مفتوح، مسألة خيار، يستدعي قرارات ويرتب مسؤوليات.

في ختام الفصل الثاني، يهمّنا الإشارة إلى أن نظرية الأمننة سنستند عليها في القسم التطبيقي للإجابة على سؤال كيف حوّل السيد الخامنئي الصراع الثقافيّ إلى قضية أمنية، عبر تتّبع وحدات عملية الأمننة في خطابه، على أن نوضّح آليات التأثير في الخطاب وبيان الإجراءات اللغوية عبر الاستفادة من علوم الإعلام والاتصال الخاصة بتحليل الخطاب.

ولكن قبل الانتقال إلى تحليل آليات عملية أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي، وجدنا من الضروري تخصيص الفصل الثالث لتبيان دور الهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي، واستخلاص معالمها ربطًا بسياق الصراع الثقافيّ مع الاستكبار العالمي والقوى الغربية التي تأتي في مقدّمتها الولايات المتحدة الأمريكيّة.

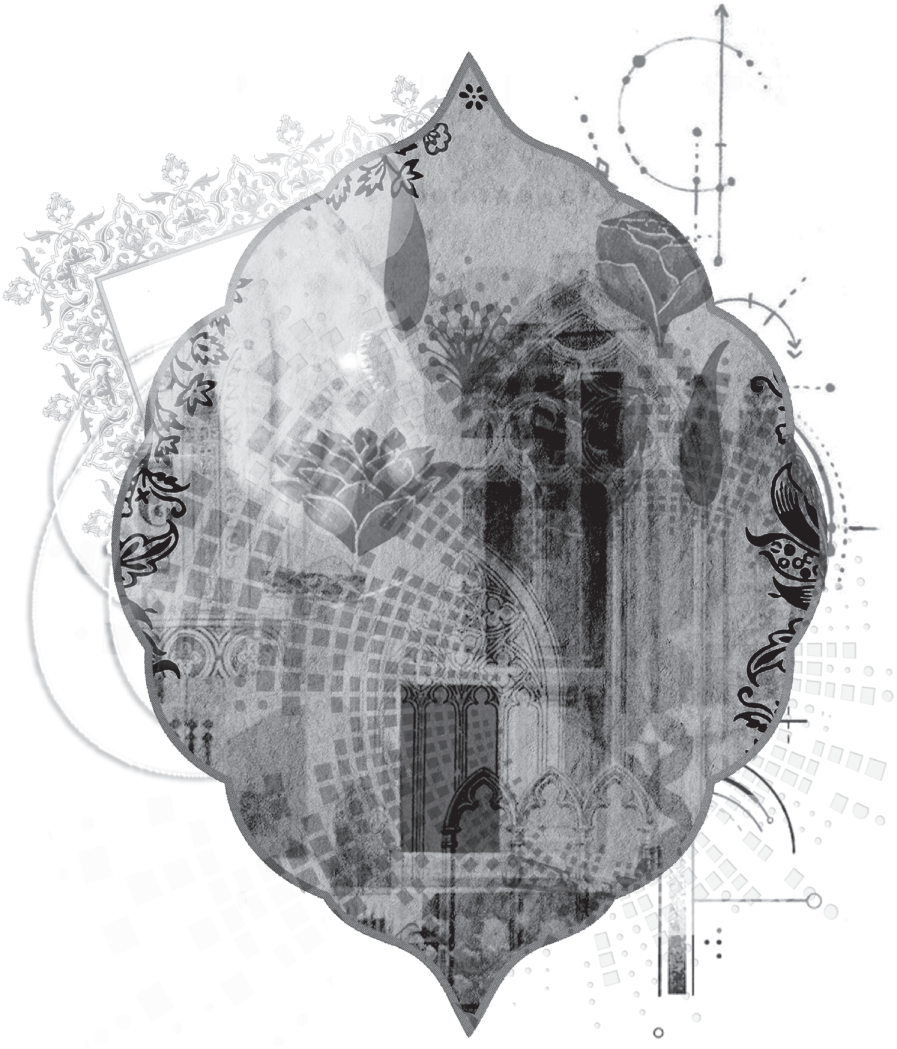

الفصل الثالث:

الهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي

« في اللّغة، وعبر اللّغة تُبنى الهويات».

إيميل بِنفنيست

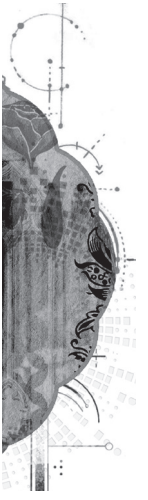

في العام ١٩٧٩، أَسقط السيّد روح الله الخميني بثورته نظام حكم الشاه الملكي، وبدعم شعبيّ كبير، أرسى نظام الحكم الإسلاميّ في البلاد، واعدًا بمكافحة الفساد وتحقيق العدالة في المجتمع، ومُعلنًا مقارعته الاستكبار ونصرة القضية الفلسطينية وكلّ المستضعفين في العالم. شكّل ذلك واقعًا جديدًا عجزت القوى الاستكبارية عن توقّعه أو حتى تخيّله، وهو حدثٌ كبير نقَل الحكم في إيران من نظام خادم وتابع للغرب إلى حكم إسلاميّ يهدّد مصالح الاستكبار ويقف سدًّا منيعًا أمام مخططاته في استعباد الشعوب ونهب ثرواتها.

سُرعان ما استشعرت القوى الغربية مخاطر مآلات الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة واحتمالات تأثيرها في تشكّل تيار ثوري يناهض السياسات الاستكبارية ويطالب بالاستقلال والحرية والعدالة في بلدان العالم الإسلاميّ. وفي سبيل الحفاظ على مصالحها في المنطقة، اتّجهت القوى المهيمنة بدايةً إلى شنّ حرب عسكرية، بتخطيط أمريكيّ وتنفيذ حكم بعثي صدّامي لقمع الثورة وقطع امتدادات الصحوة الإسلاميّة. فشلت الحرب الصلبة في تحقيق أهدافها، فلجأ الأعـداء إلى خيار «الحرب الناعمة» مع بداية القرن الواحد والعشرين، وذلك بهدف تشويه سمعة

النظام ورموزه وتضليل الشعب؛ لدفعه نحو تغيير الشخصية القيادية وهويّة النظام.

يتضمّن هذا الفصل ثلاثة مباحث؛ سنقدّم في المبحث الأول عرضًا موجزًا لأهداف الحرب الناعمة وأدواتها وأساليبها انطلاقًا من خطاب السيد الخامنئي، وذلك استنادًا إلى مراجع تناولت الموضوع، أما المبحث الثاني، فسنخصّصه لتبيان آليات السيد الخامنئي في إعادة البناء الإستراتيجي للهويّة الثقافيّة في المعركة الثقافيّة، على أن نوسّع في المبحث الثالث مفهوم الدفاع كخيار سلوكي منطلق من محدّدات ومعايير تفرضها الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، وكاتّجاه فكري وسلوكي يتّصف به خطاب السيد الخامنئي في حديثه عن المعركة الثقافيّة وآليات المواجهة.

١. الحرب الناعمة في خطاب السيد الخامنئي

منذ بدايات تولّيه القيادة بعد وفاة قائد الثورة الإسلاميّة في إيران السيد روح الله الخميني عام ١٩٨٩، شخّص السيد الخامنئي شكل الصراع بين جبهة الاستكبار والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بالصراع على «الهويّة الثقافيّة» التي أوجدها الإسلام والثورة، كما حدّد ديناميكة العلاقة بين الطّرفين في إطار عدائي موجّه بشكل دائم ومستمر من جبهة الاستكبار ضد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، يستتبعه خط دفاعي لازم وواجب تطلقه الجمهوريّة الإسلاميّة باتجاه العدوّ.

يُوصّف السيد الخامنئي ديناميكة الصراع الموجّه من العدوّ باتجاه الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بمصطلح مركزي وهو «الغزو الثقافيّ»، وتعدّدت مفرداته الموازية كاستخدام مصطلح «المعركة الثقافيّة»/ الإغارة

الثقافيّة/ الحرب الثقافيّة/ الناتو الثقافيّ[١]. ومع بدايات العام ٢٠٠٠ بدأ السيد الخامنئي يستخدم مصطلح «الحرب النفسية» والتي جاءت موازية لمصطلحات الحرب الإعلامية، والحرب الثقافيّة، وحرب الأفكار[٢]. أمّا مصطلح «الحرب الناعمة»، فقد استخدمه للمرة الأولى في العام ٢٠٠٩، وذلك في كلمة ألقاها أمام عوائل شهداء كردستان قبل شهر من تاريخ اندلاع أحداث ما عرف بفتنة «الثورة الخضراء».

تعود نشأة مصطلح الحرب الناعمة إلى كتاب «مفارقة القوة» للمنظّر الأوّل لمفهوم القوة الناعمة البروفيسور جوزيف ناي في مرحلة سقوط الاتحاد السوفياتي وتسلّم الولايات المتحدة زعامة العالم، ثم وظّفه بشكل أساس في كتاب «القوة الناعمة» في العام ٢٠٠٤ بعد الغزو الأمريكيّ لأفغانستان والعراق. اتّجه ناي إلى تعريف القوة الناعمة من منظور دبلوماسي تنظيري على أنّها « القدرة على تشكيل تصوّرات الآخرين، والحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلًا عن الإرغام أو دفع الأموال»[٣].

خرج مصطلح «الحرب الناعمة» من الفكر التنظيري لجوزيف ناي إلى الاجراء العملياتي في دوائر صنع القرار الأمريكيّ مع بدايات العام ٢٠٠٦، حيث صارت جزءًا أساسيًا من الإستراتيجية الأمريكيّة للمنطقة التي أقرّها الكونغرس الأمريكيّ رسميًا في العام ٢٠٠٨ الموجهة ضد إيران والمتحالفين معها. ونصّت الإستراتيجية في عدد من بنودها على التالي:

---

(١) علي محمد نائيني، **معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة**، ص ١٣.

(٢) مركز قيم للدراسات، **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

- شراء ذمم زعامات وكُتّاب صحف ومدراء إذاعات ودور نشر ومحطات تلفزيونية .
- اغتيال وحذف شخصيات مؤثّرة في الجبهة المعارضة للنظام المستهدف في سبيل دعم أهداف نفسية ودعائية في إطار خطة تحرّك كبرى.
- تسليح جماعات منشقّة عن النظام المستهدف.

وثّقت بعض المستندات الأمريكيّة نماذج عن استراتيجيات الحرب الناعمة المتّبعة من الإدارة الأمريكيّة ضد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، نذكر منها ما يلي:

- الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم وسلب حيويته وإضعاف موارده الناعمة.
- الضغط والتشهير المتواصلين على مرتكزات ورموز وملامح الخصم بهدف خلخلة الأركان.
- الدعم العلني لتيار على حساب آخر بهدف تشكيل بيئة من الاتهامات المتبادلة وإيجاد فرز واستقطاب يسمح بالدخول على الخط والتلاعب بالأمن الداخلي.
- استغلال نقاط الضعف في بعض الشخصيات القيادية لخلق توترات وحساسيات وعداوات مع الشخصيات المنافسة.
- خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حسّاسة.

- استدراج التيارات الإسلاميّة إلى الملفات السياسية العامة، وذلك بهدف توريطها بأزمات سياسية مع غيرها من التيارات وإبعادها عن الهدف الأساس المتمثل بمواجهة الغرب، والعمل على إفشال نظام الحكم والإدارة الإسلامية وتبيين قصورها عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة.
- الترويج لإسلام أمريكيّ وغربي وتصوّف مزيّف عبر دعم تيار ما يُسمّى بالإسلام المدني المعتدل وإيجاد شبكة إسلاميّة دولية مرتبطة بالغرب.
- ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية بهدف تقليص دورهم والدفع نحو إدخال تعديلات على المناهج الدينية وإضعاف الفكر الديني[١].

يُعرّف السيد الخامئني الحرب الناعمة على أنها عبارة عن «تضليل الشعب والرأي العام بشعارات ظاهرها حق ولكن محتواها باطل وفاسد، وإثارة الغبار في الجو السياسي للبلد»، ويُضيف بأنها «سياسات استكبارية تستهدف الإسلام والثورة»، وتتعرّض لأركان الهويّة الثقافيّة الإسلاميّة: «القرآن، الرسول محمد ﷺ، العقائد، ...»، سعيًا للتأثير في الشعوب للتخلّي عن ماضيها وهويتها كي تصبح مهيأة لقبول ثقافة الغرب وصولًا لإحكام السيطرة عليها والاستحواذ على مقدّراتها وتثبيت سلطتها الاقتصادية والسياسية في البلاد»[٢].

(١) المصدر نفسه، ص ٥٩ - ٦١.

(٢) مركز قيم للدراسات، **رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، ص ٧٢.

يأتي حديث الخامنئي عن الحرب الناعمة في إطار رؤيته الشاملة للصراع الحضاري والإستراتيجي مع الغرب الاستكباري، وينطلق فهمه في مؤشرات الحرب الناعمة واستراتيجيات العدوّ لتغيير وجه النظام وثقافة البلد من الخلاصات التي توصّل إليها عند دراسته تجربة سقوط الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية. استنتج السيد الخامنئي أنّ أحد أهم العوامل التي أدّت إلى القضاء على القوة الكبرى تتمثّل بخطة أعدّتها الولايات المتحدة، تقوم على صنع شخصيات موالية لها تنفّذ الانقلاب على الحكم الشيوعي، فضلًا عن إغداقها الأمـوال وتجنيد العناصر واستخدام وسائل الإعلام والدعايات لخلخلة أركان النظام وتشويه صورة رموزه، ويسعى الغرب لتطبيق سيناريو إسقاط الاتحاد السوفياتي مع النظام الإيراني، إلا أنّ السيد الخامنئي يرى أن فرص تحقيقها في إيران غير قابلة للتحقّق، ما دام الشعب الإيراني متمسّكًا بهويته الثقافيّة الإسلاميّة ومُدافعًا عنها.

يكشف السيد الخامنئي في خطاباته عن مخططات العدوّ وأهدافه من شنّ الحرب الناعمة على الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة - قيادةً وشعبًا، ويُصنّفها بين أهداف سياسية وثقافية.

أ - الأهداف الثقافيّة للحرب الناعمة:

- جعل الجيل الجديد غير معتقد بالدين والأصول الثورية.
- جر جيل المجتمع الشاب نحو الابتذال والفساد الأخلاقي.
- تضعيف الثقافة الوطنية والإسلاميّة لإيران.
- حرف الشباب المؤمن عن تمسكهم العميق بإيمانهم ومعتقداتهم.
- حرف ذهن الناس عن الإسلام.

- استبدال الثقافة الغربية مكان ثقافة الناس، وقيمهم واعتقاداتهم.
- استهداف ثقافة الإسلام الأصيل، الذي بُنيت الثورة على أساسه.
- إضعاف عزم الشباب داخل البلاد.
- إضعاف الروحية وإيجاد الانفعال لدى الشعب الإيراني.
- تفريغ الثورة من مضمونها الإسلاميّ والديني.
- السيطرة على جبهة الثورة الخلفية، أي الشعب.

ب - الأهداف السياسية للحرب الناعمة:

- إلغاء التفكير الفعال الذي يشكل خطرًا على الغرب ونطاق قدرته.
- إيجاد صورة مظلمة حول مستقبل البلد لدى الشعب.
- إحباط محبي الحكم الإسلاميّ في العالم.
- إخماد الروحية الجهادية في ميادين الثورة والبناء.
- إيجاد الندم لدى المجاهدين.
- العمل على إحباط المجتمع في مناضلة «النظام السلطوي».
- إيجاد الاختلاف والتقاتل بين الناشطين السياسيين.
- إفراغ الثورة من روحها الثورية.
- تضعيف الاعتقادات السياسية.
- إيجاد الانفعال أمام العدو.
- إيجاد شرخ ببن إيران ومحبي الثورة الإسلاميّة في إيران.

- إلقاء الشك ونشره في أعمال المسؤولين الرسميين[١].

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، يُحدّد السيد الخامنئي مجموعة من الأدوات والأساليب وظّفها الغرب في حربه الناعمة على إيران.

على صعيد الأدوات، نذكر منها ما يلي:

- الوسائل الإعلامية (الإنترنت - شبكات الأقمار الاصطناعية - الصحافة).
- السينما الهوليوودية.
- النخب السياسية، العلمية، والاجتماعية.
- قوة التضاد والاختلاف الموجودة في المجتمع (مثل الأقوام والأقليات الاجتماعية المختلفة).
- الانتفاضات والتحركات الاجتماعية مثل انتفاضة النساء، طلاب الجامعات، وغير ذلك[٢].

أما على صعيد الأساليب، فيوردها السيد الخامنئي وفق التالي:

- الإشاعة بأن شعب ودولة إيران قد تراجعا عن الأهداف الثورية.
- تضعيف همة الشباب داخل البلد.
- تقديم صورة مظلمة عن مستقبل البلد وإحباط الناس.
- إيجاد نظرة تشاؤمية وصدع بين الناس ورجال الدولة.

---

(١) علي محمد نائيني، **معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلامية**، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

- إيجاد التشنج، الاضطراب، وفقدان الأمن في المجتمع.
- إيجاد الاختلافات المذهبية بين المسلمين.
- استثمار البيئة الحاضنة للفتنة.
- إيجاد الشّك لدى المسؤولين بالنسبة للحقائق الواضحة.
- إيجاد الاختلافات بين الشعب الإيراني والشعوب المسلمة الأخرى.
- صناعة ونشر الشائعات حول المسؤولين.
- تعطيل حيوية نخبة أفـراد المجتمع المبدعين، الشباب والنشطاء.
- إيجاد الغفلة بالنسبة لغزو العدو الثقافيّ.
- إنكار الغزو الثقافيّ وغض النظر عنه.
- الاستفادة من سلاح العمليات النفسية.
- صناعة ونشر الأكاذيب عبر الوسائل التواصلية المتطورة.
- استثمار سلاح الدعاية والعلاقات الإعلامية.
- الاستفادة من هوليوود وقوّة تأثير الفن في الغرب.
- نشر الأخبار المضادة للنظام لحظة بلحظة[1].

(١) المصدر نفسه، ص ٤٧ - ٤٩.

٢. آليات البناء الإستراتيجي للهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي

الهويّة فعلُ بناءٍ يقوم به الأفراد وكذلك القوى الاجتماعية لتمثيل ذواتهم، ويُشكّل الخطاب إحدى أهم الممارسات المُتّبعة في تمظهر هذه الذوات إلى الآخر، وكذلك يُساهم في توفير مساحة لغوية مشتركة بين أفرادها يعيدون فيها بناء هويتهم ضمن صيرورة مستمرة تعبّر عنها اللغة ويستتبعها سلوكيات تتمثل إحداها بانخراطهم في مشروع مشترك أو التوجّه نحو سلوك معيّن، وعلى هذا الأساس، يتجاوز الخطاب عن كونه ممارسة لغوية محايدة إلى ما هو أكثر عمقًا وفاعلية وتأثيرًا في الواقع، وقد عبّر عنه الفيلسوف البريطاني ج.ل. أوستين بـمفهوم «فعل الكلام»، حيث إنّ الخطابات تُحدث أفعالًا معيّنة؛ وبناء عليه، يُصبح بناء الهويّة فعلُ كلام يُنتجه الخطيب في خطابه، وهي نتيجةٌ تُحيلنا بدورها إلى العلاقة الدّيناميكية التّفاعلية بين الهويّة والخطاب، وقد لخّصها الباحثون في طرحين:

الطرح الأوّل: الهويّة هي مسألة خطاب

ينطلق هذا الطرح من أنّ الهويّة هي عملية بنائية يقوم بها الأفراد والقوى الاجتماعية لتمثيل ذواتهم، تتقدّم عملية التمثّل وتتمظهر عبر اللّغة، وذلك من خلال الكلمات الرّمزية والشعارات والنّصوص التّأسيسية (نقصد بها الكتب المقدسة أو التشريعات أو الدساتير). من هنا، تصبح عملية التمثل أشبه بقصة تسردها الـذات عن نفسها، والهويّة عملية تمثّل مُستمرّة تُبنى عبر الخطاب. يعبّر إيميل بنفنيست Emile Benveniste مجازيًا عن هذا الطرح بقوله: «في اللّغة، وعبر اللّغة تبنى الهويات»[1].

(1) Mayaffre, D., «Dire son identité politique,» *Cahiers de la Méditerranée* 66 (2003), p. 2..

الطرح الثاني: الخطاب مسألة هويّة

يعتقد أصحاب هذا الطرح أنّ وظيفة الخطاب لا تنحصر في تقديم رسالة أو نشر أيديولوجيا، إنّما تتجاوز ذلك نحو تثبيت دعائم هويّة الخطيب، وصولًا إلى بناء معالم هويّة الجمهور. بمعنى آخر، يهدف الخطاب إلى بناء مساحة لغوية مشتركة تمكّن الجماعة من بناء هويتها والتعرّف عليها وإعطاء معنى لوجودها[1].

يتكامل الطرحان في مضمونهما للوصول إلى خلاصة مفادها أنّ الخطاب هو فعلُ تحديد هويّة، بحيث يقوم الخطيب بتقديم ذاته وهويته من جهة، والجمهور يتعرّف على ذاته ويتماهى ويتماثل مع أشخاص آخرين، ويندمج معهم في خطاب ومشروع مشترك من جهة أخرى، وهذا ما يدفع بالخطيب إلى اتباع استراتيجية تساهم في خلق الهويّة وإعـادة إنتاجها، ربطًا بالسياقات الجيوسياسية والاجتماعية والثقافيّة للجماعة المستهدفة.

في حالة السيد الخامنئي، تحضُر الهويّة الثقافيّة بشكل جوهري وأسـاس في خطابه حينما يشخّص سبب منشأ الصراع بين «القوى الاستكبارية» والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. يعزو السيد الخامنئي جذور الصراع إلى التزام الجمهوريّة الإيرانيّة الدين الإسلاميّ في الحكم وبالنهج الخميني الثوري في مقارعة الاستكبار وإفشال مشاريعه ومخططاته، فيُسمّي الحرب التي تشنّها القوى الاستكبارية على إيران وشعبها بـ«الغزو الثقافيّ» أو «الحرب الناعمة»، وهي تسميات تُعبّر عن انخراط الهويّة الثقافيّة في صلب الصراع، وتُشير إلى وجود طرفين، طرف أول يُريد أن

(1) Ibid.

يهيمن على الآخر ويسلب ثقافته ليحلّ مكانها ثقافة أخرى، يُقابله طرف ثانٍ يتعرّض لحملات تشويه لثقافته ويسعى للدفاع عن هويته الثقافيّة.

يمنح السيد الخامنئي الهويّة الثقافيّة بُعدًا ديناميكيًا في الخطاب من خلال ربطها بجذورها وأصولها في الماضي وتحديد دورها الحاضر في قلب الصراع الحضاري مع الاستكبار الغربي، ورسم أفقها المستقبلي بالوعود المفتوحة على المستقبل التي ترنو الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إلى تحقيقها وإنجازها.

عند تتّبعنا لقيمة الهويّة الثقافيّة ومكوّناتها وخصائصها في خطاب السيد الخامنئي، وجدنا أنه ساهم في إعادة بناء استراتيجي لها وفق مجموعة من الآليات، نذكر منها:

١- بناء معالم الهويّة: خصائصها على مستوى الذات والآخر.

٢- تبيان «فعل» الهويّة.

٣- الدعوة إلى الدفاع عن الهويّة.

الآلية الأولى: بناء معالم الهويّة

رسم السيد الخامنئي في خطابه معالم الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، محدّدًا خصائصها على مستوى الذات، وكذلك على مستوى علاقتها مع الآخر التي ترتبط بتصنيف هذا الآخر بين صديق أو عدوّ...

خصائص الهويّة على مستوى الذات

كان لافتًا عند محاولته إبراز خصائص هويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة أنّه كان يعتمد في بنائها على تكوين نسيج متفاعل بين الجدليات التي

يثيرها الاستكبار الغربي فيما يخصّ هويّة البلد، وكذلك على تفكيك الصورة التي يُشكّلها الغرب عنه.

١. هويّة إسلاميّة متديّنة:

تَطرح إشكالية العلاقة بين الدين والثقافة والهويّة مجموعة تساؤلات منها: هل تقوم هذه العلاقة على التنابذ والصدام؟ أم على التجانس والتكامل؟ وهل الأسبقية للديني أم للثقافي؟ وهل الدين هو الأصل والثقافة هي الفرع؟[١]

أبرَزَ السيد الخامنئي في خطابه أهمية الإرث الحضاري والثقافيّ لحقبة ما قبل الإسلام في تكوين معالم الهويّة الثقافيّة الحالية للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، ولكنه أولى الأهمية الأكبر في تكوين الجوهر والأساس للهويّة الثقافيّة في عامل اعتناق إيران الإسـلام. فالعلاقة بين الثقافة والدين في الجمهوريّة الإسلاميّة هي علاقة التكامل والتفاعل، فالدين الإسلاميّ نشأ في نظام ثقافي عريق، وأدخل عليه خصائصه حتى صار أهم العوامل البانية لهويّة شعب إيران، ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم فحسب، بل بما هو كيان متجسّد اجتماعيًا، ومتبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، ويمثّل قوة دينامية في حياة الجماعة، ينشط كمحرّك ومحفزّ للثورات، وكداعم معنوي للتطوير. بمعنى آخر، بيّن السيد الخامنئي سيرورة تحوّل الدين من منظومة اعتقادات تُفسّر علاقة البشر بالخالق والكون وأسراره، إلى التديّن كفعل يثبّت الطريقة التي يتموضع بها المؤمن قبالة العالم الخارجي والتي حصرها ضمن ثلاثة خيارات: الجهاد والاستقلال والانفتاح.

---

(١) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٧٧.

«... إن إيران دولة كبرى ذات تاريخ عريق وعظيم يغرق في تاريخها أمثال الولايات المتحدة الأمريكيّة، فهل يمكن الاستهزاء بشعب إيران؟ إن هذه الثقافة العميقة هي ثقافة شعب تشبه ذرّات الماس تنظّمت واستحكمت على مدى القرون، وتجلّت في أفراد هذه الشعب فردًا فردًا، فهل يمكن استصغار الشعب الإيراني؟! لقد قام الشعب الإيراني بانتخاب الإسـلام في الماضي ولم يكن أحد قد فرض عليه الإسـلام، وقد اختار الحكومة الإسلاميّة، كما أن الشعب الإيراني قد اختار النظام الإسلاميّ وقد اختار نمط عيشه، وانتخب طريق الجهاد والانفتاح والاستقلال عن القوى العظمى»[١].

«... إن هذا البلد ثروة معنوية هائلة أيضًا، هي لكم، بفضل الإسلام وببركة الثقافة الإسلاميّة العريقة وما لهذا الشعب من تاريخ مشرق، وتوجد هنا ثـروة علمية هائلة واستعدادات وقابليات وطاقات قد ورثتموها»[٢].

«... إن منشأ الثورة من وجهة نظري هو التديّن والإيمان، الايمان الديني والإسلاميّ، والايمان الديني هو عبارة عن ضمان وعن تأمين قسم من استعدادات وقدرات الإنسان التي تترك أكبر تأثير في اختيار الطرق والمسير عليها.... والمقصود من الإيمان هو التديّن والتعبّد، وليس بمعناه النظري، بل بالمعنى العملي».

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٤١٥/١٢/٣هـ.

٢. هويّة وطنية وإسلاميّة:

تشغل العلاقة بين الدّيني والسياسي في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وبلدان العالم الإسلاميّ اهتمام دوائر التفكير في الغرب، وتتّخذ منحىً تسييسيًا تصعيديًا تقودُه مشاريع مُمنهجة تشمل مُفكّرين وإعلاميين وسياسيين يدعون فيها إلى مواجهة الإسلام السياسي وفصل الدين عن السياسة. يوضّح السيد الخامنئي نوايا الغرب في ذلك بأنها مساعٍ ومحاولات تهدف إلى «حصر الإسلام في العمل الفردي والإيمان القلبي واستبعاد تدخّله في المجالات المُهمّة في الحياة كالسياسة والاقتصاد، وجعله مجرّد نظرية وفكرة نظرية».

وفي ردّه على جدليّة العلاقة بين الدّيني والسّياسي، أعلن السيد الخامنئي عن معادلة التّداخل المُتكامل والمنسجم بين الثقافة الوطنية الشعبية الإيرانيّة وبين الدين الإسلاميّ، فضلًا عن إخضاع السياسة للمُحدّدات الثقافيّة الإسلاميّة، وفي ذلك محاولة من السيد الخامنئي لتثبيت حقيقة أن الاسلام كدين ينشط في النطاق الكامل لحياة البشر، منطلقًا بذلك من وجهة نظر الإسلام نفسه، مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم تبيّن موقف الإسلام ورؤيته في القضايا الفردية وكذلك الاجتماعية والسياسية.

«... سياستنا تخضع لثقافتنا، ونحن الذين لم نرد أن نفصل سياستنا عن ديننا، وثقافتنا وليدة ديننا وتاريخنا وثورتنا»[١].

«... الإسلام هو الركن الأهم من بين أركان الثقافة الوطنية، نحن كشعب إيران نفتخر بأنّ ثقافتنا ولغتنا وآدابنا وعاداتنا ولباسنا وجميع

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٣.

أمورنا ممتزجة بالإسلام منذ أكثر من ١٣٥٠ سنة، ولعلّه لا يوجد شعب آخر امتزج بالإسلام بالنحو الذي فعلنا. إن الإسلام والثقافة الإسلاميّة هي من ضمن ثقافتنا الوطنية الشعبية، الوطنية هنا ليست في مقابل الإسلاميّة، بل هي عين الإسلاميّة»[١].

٣. هويّة دينية وعلمية:

يربط السيد الخامنئي شرط تحقيق المنفعة الحقيقية من العلم باقترانه بالدين والأخلاق، حيث إنّ الدين وفق السيد الخامنئي، يؤدي دور الداعم للوصول إلى التقدّم العلمي، ويقف حائلًا بين تجاوز العلم وتعدّيه حدود الإنسانية. فالعلم المفصول عن الدين والأخلاق - كما في الغرب - يتحوّل إلى أداة للظلم ووسيلة للانحراف الأخلاقي. يُدعّم السيد الخامنئي حجّته بتسليط الضوء على سوء واقع الأمم المتقدمة علميًا التي فصلت الدين والأخلاق عن العلم، مستشهدًا بحالة أمريكا التي تعتبر من أكثر البلدان تطورًا في العلوم إلاّ أنها أكثر البلدان التي تفتقد للأمن والاستقرار النفسي؛ بسبب تصاعد حالات العنف والقتل والإرهاب والجريمة. في المقابل، يبيّن الخامنئي إنجازات الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على كافة الصعد بفضل مواءمتها بين الدين والعلم، وهو توجّه قد بدأته إيران منذ ألف سنة، حيث كان علماؤها دينيّين، واستطاعوا تحقيق إنجازات استفادت منها البشرية جمعاء.

«... في بلدنا وعلى مدى ألف سنة، كان العلم والدين جنبًا إلى جنب. ابن سينا الذي ما زال كتابه في الطب مذكورًا في العالم ككتاب حي، وقد عدّ في الشؤون المختلفة شخصية بارزة في تاريخ البشرية،

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٣/٨/٣.

وكان معروفًا في جميع مجالات العلوم في العالم في الألف سنة الأخيرة. وهو الآن كذلك، والذي تم تسجيل بعض الأعمال باسمه في تاريخ العلم ومسيرته - كان عالمًا دينيًا، ومحمد بن زكريا الرازي، وأبو ريحان البيروني، وغيرهم من علماء ومفكري ومكتشفي ومخترعي العالم الإسلاميّ كانوا على هذه الشاكلة أيضًا. هكذا كان وضع بلدنا وعالمنا الإسلاميّ»[١].

«... من المسائل الأخرى التي أرغب بذكرها لكم هي: اقتران العلم بالدين والأخلاق، الذي يعتبر أمرًا نافعًا للبشرية. عليكم أن تعلموا علمًا قطعيًا، أنَّه كلّما تطوّر العلم، دون أن يقترن بالأخلاق والدين، فسوف لا يكون نافعًا للبشرية»[٢].

٤. هويّة مُتجدّدة (هويّة حيّة):

حدّدَ السيد الخامنئي مجموعة عوامل ساهَمَت في صمود إسلاميّة هويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وبقاء شعاراتها الثورية حيّة، والتي عزّزت من قدرة الشعب الإيراني ونظامه وقيادته على الاستمرارية في عملية البناء والتطوّر في كل المجالات. يأتي إبراز الخامنئي لهذا الجانب من جوانب الهويّة في سياق تحقيق هدفين: في الهدف الأول، يدحض الخامنئي سردية العدوّ التي تقول إن الجمهوريّة الإسلاميّة لا تمتلك مقومات البقاء والاستمرارية بسبب تبنّيها شعارات رُفعت في بدايات الثورة منذ سبعينات القرن الماضي، أما الهدف الثاني المراد منه هو إبراز البُعد الحيوي في الهويّة كإجابة على إشكالية تطرح دائمًا في موضوع ثبات الهويّة وتحوّلاتها. فالهويّة الإسلاميّة في الجمهوريّة الإسلاميّة هي

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١٠.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٦.

ثابتة في جوهرها، ولكنها تحوي مجموعة عناصر ومقوّمات تُبقيها في حالة من التجدّد والاستمرارية، نذكر من هذه العناصر:

أ - الثقافة الجهادية:

يعتقد السيد الخامنئي بأنّ الثقافة الجهادية هي العامل الجوهري في تدفّق الحيوية والحركة في جميع المجالات والميادين، والشرط الأساس للتقدّم والتطوّر. على مستوى المعنى الاصطلاحي لمفهوم الثقافة الجهادية المركبّة من كلمتين ثقافة وجهاد، يُعرّف السيد الخامنئي الجهاد على أنه ثقافة إسلاميّة تعني «الكفاح والسعي الحثيث من أجل تخطي عقبة أو مواجهة عدو»[١]، وهو فعلٌ له شروط خاصة ما إن توفّرت فيه يُصبح جهادًا، ويحدّد السيد الخامنئي هذه الشروط بأمرين أساسيين؛ الأمر الأول: أن يتخلّل الفعل الجدّ والجهد[٢]، وأن يكون نشاطًا متواصلًا وشاملًا نابعًا من وعي وإخلاص[٣]. أمّا الأمر الثاني فهو أن يكون الفعل تصدّيًا للعدو، إمّا في ساحة الحرب المسلّحة، فيطلق عليه الجهاد العسكري، وإما يكون في ميدان السياسة ويدعى جهادًا سياسيًّا، وإما يكون في ميدان الشؤون الثقافيّة ويدعى جهادًا ثقافيًا[٤].

«... ما يجعل الشعوب شامخة الهامَة في التاريخ وفي عصرها الذي تعيشه بين سائر شعوب العالم هو الجدّ والمجاهدة.. إنّ الروحية الجهادية أمر ضروري، وإن شعبنا منذ بداية الثورة وإلى يومنا هذا كلّما

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٤/١١/١٠.
(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/٦/٩.
(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٨/١٧.
(٤) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/٦/٩.

دخل إلى أي مجال بروحية جهادية، تقدّم وتطوّر فيه، وقد شاهدنا ذلك في الدفاع المقدس، وجهاد البناء، وها نحن نشاهد الأمر نفسه في الحركة العلمية، لو أنّنا امتلكنا الروحية الجهادية في المجالات المختلفة، لا شك أن هذه الحركة ستتكامل وتتطور»[١].

ب - الإيمان بصوابية نهج السيد الخميني والالتزام به:

يُقدّم السيد الخامنئي السيد روح الله الخميني في إطار الفاعلية والتأثير الذي أحدثه على موازين الصراع والسياسة العالمية، متجاوزًا بذلك الإجراء الكلاسيكي المتمثّل باستعراض صفاته وخصاله الشخصية، إلى اتباع إجراء أكثر أهمية يقوم على بناء شبكة مفاهيمية قيمية تجيب على سؤال «ما» هو السيد الخميني، وليس «من» هو السيد الخميني»، وهذا يعني تمثّل الخميني كقضية في سياق عالمي، وكمدرسة وعقيدة في التاريخ.

«... هناك سمة من سمات السيد الخميني هي سمة المقاومة والصمود، هذه هي السمة التي جعلت السيد يطرح على شكل مدرسة وفكر وعقيدة ونهج في زمانه وفي التاريخ، سمة المقاومة وعدم الاستسلام مقابل المشكلات والعقبات... لقد أعلن للعالم كافة مقاومته للطواغيت، ووقف بصلابة من دون أن يتراجع قيد أنملة في طريق الكفاح، وكان هذا قبل انتصار الثورة؛ وبعد انتصار الثورة ظهرت ضغوط من نوع آخر وبنحو أشمل في وجه السيد، لكن السيد لم يتخلّ أيضًا عن مبدأ المقاومة والثبات»[٢].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٣/٢١.

(٢) من خطاب له في الذكرى ٣٣ على رحيل السيد الخميني.

«... لقد أرسى السيد الخميني منذ البداية فكرة المقاومة والصمود وعدم تضييع النهج والهدف مقابل هذه الهجمات الدنيئة الخبيثة، وقدّمها كدرس ونهج لنا وللشعب الإيراني وللمكافحين المجاهدين ولمسؤولي البلاد لننطلق منه ونسير عليه»[١].

يتواتر على لسان الخامنئي مجموعة من الألفاظ منها: «عهد، عصر، خط، نهج الخميني...»، وهي كلّها مفاهيم تعبّر من حيث قيمتها الدلالية على أمرين اثنين؛ أولًا: بروز عهد جديد أطلقه السيد الخميني، يحوي ضمنًا صفة الاستمرارية الزمنية للمبادئ التي رسّخها السيد في ثورته، ثانيًا: ترسيخ فكرة الإلزامية ووجوب الاسترشاد بتوجيهاته المرتكزة على مفاهيم الثورة والمقاومة والاستقلال ومقاومة الهيمنة ونصرة المستضعفين لتحقيق أهداف الثورة التي تطلّع إليها.

«... إن هذا العهد الجديد الذي أطلقه السيد، بنهضته وثباته واتكاله على الله واحترامه وتوقيره للقيم الروحانية وثقته بالشعب، هو الذي سينقذ الشعوب من نير القوى الدولية، ويجعل زوال القوى المادية الكبرى في العالم قريبًا، وهذا من بركات ذلك الرجل العظيم. وإن شعبنا بسيره خلف قائده العظيم والفذّ كان أول شعب يسير في هذا العهد الجديد ويرسّخ دعائمه ويغدو بمقاومته شاهد صدق أمام شعوب العالم على ما ندّعي»[٢].

أدرَجَ السيد الخامنئي مسألة الالتزام بتوجيهات الخميني ضمن دائرة التّكليف الشرعي، بعد تشخيصه إيجابيات اتباع نهج الخميني على

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤.

الجمهوريّة الإسلاميّة والمسلمين في العالم، وكذلك استشرافه العواقب المحتملة في حال التخلّي عنه، وجعلَ هذا التكليف موازيًا في أهميته لتكليف الالتزام بالإسلام والقرآن.

«... ما يمثل صلب مجتمعنا الآن هو خط السيد ودربه وما نرى فيه صلاح ديننا ودنيانا هو ما اختطّته أنامل السيد أمامنا، وخطونا فيه وسرنا فيه على مدى ١١ عامًا بكل اقتدار، وسنواصل الطريق ما دامت الروح تسري في أبداننا»[١].

«... الجمهوريّة الإسلاميّة التي أسّسها السيد الخميني لنا وأهداها لبلادنا، بوسعها تأمين هذه الخصائص: الاقتدار الدولي - الاقتدار السياسي والعزة ورفاه الدنيا وعمارة الآخرة معنويًا»[٢].

«... اليوم، ما هي مسؤوليتنا نحن السائرين على نهج هذا الرجل العظيم؟.... المسؤولية تزداد ثقلًا على عاتق الذين يعتبرون أنفسهم أتباعًا لهذا الرجل العظيم، والذين اهتدوا على يـده.... علينا مواصلة مسيرتنا بسرعة نحو الأهـداف العليا لهذه الثورة في ظل التعاليم الإسلاميّة، متمسّكين بإسلامنا وقرآننا مسترشدين بتوجيهات إمامنا الراحل العظيم»[٣].

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٣.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١٠.
(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤.

«... هذا هو خط الجمهوريّة، ولا سبيل أمامنا سواه، ولا نعرف سبيل نجاة غيره، هذا هو تكليفنا الشرعي ولا نشعر بوجود تكليف شرعي على عواتقنا غيره»[١].

ت - حركة الجماهير:

ردّ السيد الخامنئي على ادعاءات الأعداء حول انقضاء فعالية الشعارات التي تسير بها الجمهوريّة الإسلاميّة بأطروحة «المشاركة الشعبية».

في هذه الأطروحة، يعزو السيد الخامنئي سرّ بقاء الثورة الإسلاميّة إلى «حركة الجماهير» التي وصفها بـ«الحركة الإيمانية والقلبية» التي تقف وراءها الحوافز الإلهية، والإيمان الديني المصحوب بالإرادة القوية والتصميم والرؤية المبيّنة والواضحة. ويؤكّد، بناءً على تجربة الثورة الإسلاميّة، بـأنّ «الشّعب» هو صاحب القرار، وهو من يحدّد المصير ويُحبط مؤامرات الأعداء، وهو من يتولّى توجيه المسيرة وجعل شعارات الثورة نابضة وحيّة، طالما كان التحرّك في سبيل الله وفيه إخلاص وحسن نية[٢].

«... في العهد الجديد الذي انطلق على يد إمامنا الخميني لم ينحصر بحدود إيران، كانت الفئات الشعبية هي الأصل وهي التي تحدّد المصير وصاحبة القرار، وهي التي تتولى توجيه المسيرة. والكثير من الثورات التي نعرفها اندلعت سابقًا وشقّت طريقها بالاعتماد على مشاعر الشعب... إن المعلَم الإنساني لهذا العهد هو انتصار الدم على السيف،

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٣.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/٨/٢.

أي نزول الشعب إلى الساحة بأجسادهم ومهجهم دون معدّات أو سلاح. وتضييقهم الخناق على الحكم الغاصب والجائر، وهو ما حصل في إيران. ولقد أصبح هذا المنهج معروفًا لدى العالم اليوم واتّضحت الآن قوة المشاركة الجماهيرية حتى تلك المجردة من السلاح» (١٩٩٠/٦/٤).

ث - جاذبية شعارات الثورة:

يذكر الخامنئي في إحدى خطبه عدداً من شعارات الثورة «العبودية لله، خدمة خلقه، معاداة أعدائه، وأعداء عباده» (٢٠٠٨/٩/٨). فالشعارات، بحسب الخامنئي، «تُشير إلى الأهداف وتدلّ على الدّرب، وهي بمثابة العلامات التي يضعها الإنسان في الطريق من أجل أن لا يضلّ عنه» (٢٠١٦/٥/٢٣). وفي معرض ردّه على ادّعاءات الغرب القائلة بأنّ التمسك بالشعارات يعيق التقدّم، وأن التخلي عنها سلوك عقلاني، يرى الخامنئي بأن الشعارات هي أسس نظام الجمهوريّة الإسلاميّة العقلاني والعلمي، الذي ينطلق في سلوكياته وقراراته من خلفية عقلانية إسلاميّة منطقية، مضيفًا أن التمسك بالشعارات وصيانتها هي الأصل في تقدّم الشعب وبلوغ أهدافه الكبرى.

يعزو السيد الخامنئي سبب تمسّك الجمهوريّة الإسلاميّة - قيادة وشعبًا - بشعارات الثورة التي رفعت منذ سبعينات القرن الماضي حتى اليوم إلى عامل يكمن في جاذبية نفس هذه الشعارات. تقوم أصول الجاذبية في الشعارات على ثلاث مرتكزات: أولًا، الفئة المستهدفة بهذا الشعار «المستضعفين»، وثانيًا الهدف من الشعارات المتمثّل بتحقيق العزة الوطنية، ثالثًا مرتبط بمعاني الشعارات ودلالاتها التي تحوي في أصلها وجوهرها على فعل المقاومة والصمود.

وحينما يدعو السيد الخامنئي إلى الالتزام بشعارات الثورة، هو لا يقصد التمسّك بها على المستوى العاطفي فحسب، إنّما على مستوى التّفكر العميق في معانيها لتحقيق الإيمان المستقر الضامن الأساس من الانحراف عن الطريق الصحيح والسليم.

«... كانوا يقولون إن شعارات الثورة قد بليت وصارت قديمة! لا، شعارات الثورة لا تبلى، فهي جديدة دومًا وجذابة وشيقة لأبناء شعبنا. الشعار الذي يكون لصالح المستضعفين ولصالح العزّة الوطنية والشعار الذي تكون فيه مقاومة وصمود، هذه الشعارات لا تبلى أبدًا بالنسبة لأي شعب من الشعوب»[١].

وفي خطابٍ حديثٍ له ألقاه مع جمع من قادة وضبّاط القوّات الجويّة وقـوّات الدفاع الجوّي في الجيش في تاريخ ٨,٢,٢٠٢٣، حدّد الخامنئي ثلاثة عوامل أساسية تساهم في إبقاء الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة حيّة، انطلاقًا من مقارنة أجراها بين الثورة الإسلاميّة في إيران والثورات التاريخية الأخـرى كالثورة الفرنسية الكبرى وثـورة أكتوبر في روسيا السوفياتية؛ والعوامل الثلاثة هي:

- معرفة احتياجات الثورة في أي مرحلة والقدرة على إشباعها.
- معرفة مخاطر الثورة في أي مرحلة والقدرة على تحييدها.
- القدرة على صيانة الثورة من الآفات (مثال على الآفات: تغليب الأهواء الشخصية على أهداف الثورة).

(١) المصدر نفسه.

٥. هويّة ثورية ذات مشروع:

تُعرّف «هويّة المشروع» عند الباحثين في علم الاجتماع بأنها الهويّة التي تنتجها الحركات الطامحة إلى تغيير المجتمع، وهي أكثر من كونها وسيلة لتأسيس الشروط التي تسمح لها بالبقاء في موقع المعارضة للفاعلين المهيمنين، إنما هويّة جديدة تعيد تحديد وضعها في المجتمع ساعية إلى تغيير بنية المجتمع كله. تبرز الهويّة بصفتها مشروعًا حينما تتجذّر الهويّة المقاومة ويتجاوز همّها الاندماج في المجتمع أو النظام، بل رفض النظام الذي يلفظها ويواجه أصحابها، والسعي نحو تغييره.

تعتبر «هويّة المشروع» إحـدى أبـرز معالم هويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الثقافيّة، لارتباطها بأفق قادتها المستقبلية وبالوعود المفتوحة على المستقبل. أطلق السيد الخامنئي على هذه الخاصية الهوياتية مصطلح «مشروع الثورة الإسلاميّة»، وهو مشروع تغييري نهضوي يواجه الهيمنة الغربية ويسعى نحو تحقيق هدف الثورة الأساسي: «بناء الحضارة الإسلاميّة». يحوي المفهوم المركبّ من مصطلحين مشروع وثورة على جدلية مرتبطة بزمن الفعل، فزمن المشروع طويل استراتيجي يمر بمراحل، أما الثورة حدث تاريخي زمنها لحظوي وعابر، بالتالي إلصاق المصطلحين المتناقضين في زمن الفعل من شأنه أن يُعبّر عن ديمومة فعل الثورة الإسلاميّة التي انطلقت في سبعينات القرن الماضي، وما زالت حيّة في الحاضر وترسم خارطتها نحو المستقبل.

بحسب السيد الخامنئي[١]، يمرّ مشروع الثورة الإسلاميّة الرامي إلى بناء الحضارة الإسلاميّة عبر خمس مراحل:

---

(١) المصدر نفسه.

المرحلة الأولى: قيام الثورة الإسلاميّة، وهي تحققت في العام ١٩٧٩.

المرحلة الثانية: تأسيس وإيجاد النظام الإسلاميّ. والنظام الإسلاميّ، بحسب تعريف السيد الخامنئي، هو «هندسة المجتمع العامة هندسة إسلاميّة»، وهو يقوم على ركيزتين أساسيّتين؛ الأوّل هو الشعب، والثاني هو الدين. يُشكل النظام الإسلاميّ الإطار العام الذي تتحقق فيها أهداف الثورة، فهو الذي يحدد الهيكلية الأساسية لإدارة البلاد وفق الرؤية الإسلاميّة.

المرحلة الثالثة: إيجاد حكومة إسلاميّة. ويوضّح السيد الخامنئي في هذا الاطار أن الحكومة لا تعني هيئة الوزراء بل هي مجموعة مسؤولين ومديرين في الدولة والحكومة، إسلاميّين بالمعنى الحقيقي للكلمة في داخل هذا النظام الإسلاميّ. تنحصر مهتهم في التنفيذ والتطبيق العملي للهيكلية والخطة الموضوعة من قبل النظام الإسلاميّ.

المرحلة الرابعة: إيجاد مجتمع إسلاميّ يتوقف تحقيقه على المرحلة السابقة، «... بعد أن تشكلت الدولة الإسلامية ستكون مسؤوليّتها والتزامها تحقيقَ المجتمع الإسلاميّ، وأما معالم المجتمع الإسلاميّ المنوي إيجاده: المجتمع الإسلاميّ هو المجتمع التوحيديّ العادل، والمجتمع الحرّ المستقلّ، وهو المجتمع الذي يتمتّع بالأمن والعزّة والتقدّم والرفاه، وهو المجتمع الخالي من الفقر والجوع، وبالمختصر هو المجتمع الذي يسود فيه نمط الحياة الإسلاميّ والأسلوب الإسلاميّ للعيش الكريم، وسوف تتحقّق فيه الآمال الإسلاميّة الكبرى».

المرحلة الخامسة: بناء الحضارة الإسلاميّة، وهو هدف ليس محصورًا في الحدود الإيرانيّة، إنما يشمل العالم أجمع.

وَرَدَ في خطاب السيد الخامنئي مجموعة من القدرات التي تمكّن الجمهوريّة الإسلاميّة من أن تؤدّي دورًا بارزًا في بناء الحضارة الإسلاميّة، يمكن حصرها فيما يلي:

- قوة الإسلام وقدرتها على تحقيق رقي المجتمع وتقدّمه، وكذلك قدرتها على تهديد ومقارعة النظام الاستعماري الغربي.
- الثقافة العميقة والتاريخ العريق.
- سعة اللغة الفارسية وغناها.
- الأخـلاق الإسلاميّة وعمق المعنويات وانسجامها مع فطرة الإنسان.
- الشعور الوطني والثقة بالنّفس.
- التقدّم العلمي والتقني.
- المجتمع الشاب الذي يتمتع بقدرات الذكاء.
- ثروات غنية.
- علاقات دولية واسعة مع سائر الشعوب.
- تأسيس جبهة المقاومة.

خصائص الهويّة على مستوى العلاقة مع الآخر

تتحدّد خصائص هويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على مستوى علاقتها مع الآخر بناءً على موقع الآخر من هذه العلاقة، وكذلك على الخصائص الذاتية المرتبطة بهويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الثقافيّة التي أتينا على إبراز

معالمها في العنوان السابق. في هذا الجزء، سنبيّن معالم الهويّة الثقافيّة المرتبطة بالعلاقة مع الآخر، سواء أكان عدوًّا أم صديقًا.

١. هويّة أصولية:

وفيما كان السيد الخامنئي يُسلّط الضوء بشكل دائم على محورية الدين الإسلاميّ في بناء الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة، كان يهتم تزامنًا بتفنيد بعض الإشكاليات التي يثيرها الغرب تحت عنوان «أصولية إيران». تتمحور أبرز هذه الإشكاليات في اثنتين: التحجّر واضطهاد الأقليات.

أعاد السيد الخامنئي تعريف معنى الأصولية عبر تقديم التعريف الدقيق للمفهوم، إلى جانب تجريده من المفاهيم السلبية التي يلصقها الغرب به. فالأصولية تعني بحسب السيد الخامنئي «الالتزام بالأصول والأسس الدينية، وهو ليس بأمر سيئ ونحن نفتخر بذلك، فعندما يقولون بأنكم أصوليون نقول طبعًا نحن أصوليون ولا ننكر ذلك، فالالتزام بالأصول المنطقية المبرهن عليها والالتزام بها وتنسيق السلوك بمقتضاها ليس أمرًا سيئًا»[١].

يستكمل السيد الخامنئي تعريفه الخاص لمعنى الأصولية عبر اتباع تقنية تبيين المغالطات الملصقة بالمفاهيم التي يوسم بها الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة تحت عنوان الأصولية، وكان «التحجّر» أحد أهم هذه المفاهيم. بحسب التداول الغربي، يُساوي التحجّر مفهوم الأصولية، وهو مفهوم يُستخدَم للتعبير عن حالة الانغلاق وعدم فهم المنطق وعدم مواكبة التطور. يوضح السيد الخامنئي سبب ربط الأصولية بالتحجر

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٢ شعبان ١٤١٣.

وفق الفهم الغربي إلى أنّ الأخير يسعى إلى إسقاط الإسلام من عيون المجتمعات الإسلاميّة، وإزالة إيمان الجماهير المسلمة بالإسلام، وإبعاد الجماهير الغربية التي لديها ميول للاسلام. بالمقابل قدّم السيد الخامنئي تعريفه الخاص لمفهوم التحجرّ قائلًا: «التحجر هو الدفاع من منطلق التعصّب واللّادليل، عن كل ما يدخل ذهن الإنسان على شكل قناعة ومعتقد من دون أن تكون له ركائز استدلالية وتوثيقية رصينة»[١].

بعد تبيان التّعريف الحقيقي لمفهوم الأصولية وتفكيك مصطلح التحجّر وأسباب طرحه في الغرب، رسم السيد الخامنئي معالم الهويّة الثقافيّة الأصولية في ثلاث خصائص: القدرة على الانفتاح وفهم منطق الآخر، القدرة على إدراك الظواهر المتجددة ومجاراة التطور والتقدم، أما الخاصية الثالثة، فتُشير إلى تثبيت حدود العلاقة بين إيران والأعداء.

«... أما في التداول الثقافيّ للغرب، فإنّهم اعتبروا الأصولية مساوية للتحجّر، مساوية لحالة الانغلاق عن سماع الكلام الصحيح وعدم فهم المنطق. ليست الجمهورية الإسلامية متحجرة وعديمة الإحساس والإدراك مقابل الظواهر والظروف المتجددة، لكنّها ملتزمة أشد الالتزام بأصولها ومبادئها، وتتحسّس بشدة لحدودها الفاصلة بينها وبين منافسيها وأعدائها»[٢].

حينما ربط السيد الخامنئي الأصولية بتحديد الثوابت في العلاقة مع الأعداء، فإنّ ذلك يُحيلنا ذلك إلى استكمال البحث في تعريف الأصولية وفق السيد الخامنئي من ناحية العلاقة مع الأقليات ومختلف مكونات

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٩/٢/١٤.

(٢) المصدر نفسه.

الشعب الإيراني، خاصة وأن السيد الخامنئي يرى أنّ التحجر ناشئ من «التعصّب»، والتعصّب يتّخذ، وفق الباحثين في السوسيولوجيا، أشكالًا عنفية ضد الآخـر المختلف، باعتبار «أن العنف يتغذّى على ثقافة التعصّب بكل مرجعياتها الثقافيّة والدينية والقومية والإثنية»[١].

مقابل سياسة الشدّة والحسم المتبعة ضد الأعداء، تتبع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة - وفق المنطق الأصولي - سياسة الرحمة مع الأقليات وباقي مكونات الشعب الإيراني التي تعزّز بدورها الوحدة والتجانس بين مكونات الشعب الإيراني. يعزو السيد الخامنئي عامل الوحدة إلى مجموعة من العناصر المرتبطة بالتاريخ والتقاليد والثقافة، إلا أنه ركّز على عنصرين أساسيين يشكّلان السبب الأساس في تحقيق الانسجام بين مكوّنات الشعب، وبينهم وبين النظام الإسلاميّ، وهما الدين الإسلاميّ بما يكتنز من قيم أخلاقية كالرحمة والمروءة، وعنصر القيادة، وقد استند السيد الخامنئي في تعزيز رؤيته حول أثر الإسلام في توحيد الشعب على وقائع تاريخية تعود لحقبة عهد الخلفاء، حينما فتح فيها المسلمون المناطق المتاخمة لغرب الدولة الإسلاميّة، وكانت إيران إحدى البلاد التي أسلم فيها اليهود والنصارى دون مقاومة بفعل سياسة التسامح والرحمة التي عوملوا بها من قبل المسلمين.

«... عندما فتح المسلمون على عهد الخلفاء المناطق المتاخمة لغرب الدولة الإسلاميّة، هنا في بلدنا إيـران، أسلم الكثير من اليهود والنصارى دون مقاومة؛ لما لمسوه من رحمة ومـروءة ورفـق لدى المسلمين في تعاملهم مع خصومهم؛ ولذلك أعلنوا الإسلام طواعية[٢].

---

(١) عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، ص ٩٧.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٤٢٢/٧/٢٧ هـ.

«...البلد والشعب منسجمان، وصحيح أنّ هذا الانسجام يعود إلى التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والثقافة، ولكن مردّه أساسًا إلى الدين وموضوع القيادة، هو ما ألّف بين أجزاء هذا الشعب وجعل الجميع يشعرون بالوحدة والانسجام»[١].

٢. هويّة مقاومة:

تتميّز الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة بسمة «المقاومة»، وهو خيار سلوكي موجّه ضد القوة الاستكبارية المتمثّلة بأمريكا والكيان الصهيوني والغرب لفرضهم الهيمنة على الشعوب ونهبهم ثرواتها وسلبهم حقوقها وإبادتهم ثقافاتها.

«... ثمة طريقتان للتعامل مع الغطرسة والتجبّر وعدم المنطق وغمط الحقوق: الاستسلام والمقاومة؛ استسلام الشعوب وساسة العالم ومثقفي المجتمعات حيال عجرفة الاستكبار العالمي يشجّعهم على مزيد من العجرفة، ولن يبقى أمام الشعوب سوى طريق واحد حقيقي هو المقاومة. أحد أبرز النقاط في خط السيد الخميني هي ضرورة الوقوف الحاسم مقابل الطامعين والمستكبرين. على الشعب الإيراني وجميع الفئات والنخب الملتزمة والوفية للإمام ولآرائه وأفكاره أن تحافظ على هذا الموقف بكل قوة. هكذا كان السيد نفسه، فهو لم يبخل أبدًا في الدفاع عن مظلومي العالم مصانعةً لمتجبّري العالم»[٢].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/٧/٩.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢.

يُعرّف الخامنئي في خطابه المقاومة بأنه الطريق المقابل للاستسلام، يختاره الإنسان لاعتقاده بأنّه طريق الحق ويسير فيه، ولا تستطيع الموانع والعقبات صدّه عن السير في هذا الدرب وإيقاف مسيرته. وهذا الاختيار يقوم بحسب الخامنئي، على خلفية مُركّبة من أصول منطقية عقلانية ودينية، يُحدّد عددًا منها وفق التالي:

- المقاومة رد فعل طبيعي للشعوب الكريمة الحرة:

«... إن أي شعب يعير أهمية لشرفه وهويته وإنسانيته، عندما يرى أنّهم يريدون فرض شيء عليه، سوف يقاوم ويمتنع ويصمد، وهذا بحدّ ذاته سبب مستقلّ ومقنع»[١].

- المقاومة عامل تراجع للعدو:

«... الصمود والمقاومة مقابل أطماع العدوّ وتعسّفه وابتزازه هو السبيل للحؤول دون تقدّمه.... فإن تراجعتم خطوة إلى الوراء حين يمارس العدو ظلمه وأعماله التعسّفية بحقكم، سوف يتقدّم هو بلا شكّ»[٢].

- كلفة المقاومة أقل من كلفة الاستسلام:

«... تكاليف الاستسلام والرضوخ وعدم المقاومة أكثر بكثير من تكاليف المقاومة، وللاستسلام تكاليفه المادية والمعنوية أيضًا. النظام البهلوي كان مستسلمًا أمام أمريكا، وكانوا منزعجين في كثير من الأحيان

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٧/٦/٤.
(٢) المصدر نفسه.

وغير راضين، لكنهم كانوا مستسلمين ويخافون، كان يعطي النفط والمال ويخضع للابتزاز ويتلقى منهم الصفعات في الوقت نفسه»[١].

- المقاومة عملية ممكنة:

«... علينا في حساباتنا أن نعرف بدقة الحقائق المتعلقة بهؤلاء العتاة، ونعرف أيضًا الحقائق المتعلقة بنا. ومن هذه الحقائق «القدرة على المقاومة».... المقاومة هي أمر ممكن، وهذا على الضدّ تمامًا من التفكير الخاطئ للذين يقولون ويروّجون أنه لا فائدة من ذلك، كيف تريدون أن تقاوموا والطرف المقابل جبّار ومتعسّف وقوي»[٢].

٣. هويّة مناصرة لمظلومي العالم:

تتّخذ مقاومة الاستكبار في خطاب السيد أشكالًا عديدة، تشكل «نصرة المظلومين في العالم» واحدة منها. وهي إحدى توصيات السيد الخميني التي تؤدي إلى عزة الشعب الإيراني ورفعته المعنوية والأخلاقية.

«... الدفاع الصريح عن حقوق المظلومين عن حقوق الشعب الفلسطيني وأي شعب مظلوم آخر، هذا هو منهج السيد وخطه وأسلوبه ووصيّته. لحسن الحظ تابع الشعب الإيراني ومسؤلو البلد هذا المنهج... على السلطات الثلاث ومسؤولي البلاد أن يجعلوا وصية السيد وإرشاداته برنامج عملهم؛ فعزة الشعب الإيراني وأمنه الدائم ورفعته المعنوية والأخلاقية رهن بالعمل بهذه التوصيات»[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢.

«... الكفاح ضد الاستكبار معناه أن نكشف الحقائق ضد الاستعمار على المستوى العالمي بمقدار استطاعتنا، وفي أي مكان يعاني ويئن مظلوم من ظلم الاستكبار، فسوف نناصر ذلك المظلوم ونتحيّز له كيفما نستطيع»[١].

٤. هويّة مؤثرة:

يُبيّن السيد الخامنئي تأثير نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة وشعاراتها خارج حدود إيران تحت عنوان «تصدير الثورة»، مفككًا ادعاءات العدو حول المفهوم الذي يربطه بالهيمنة، ومحاولًا إعادة تصويب المفهوم عبر تقديم التعريف الواقعي والحقيقي له من موقعين: تارة من موقع الجمهوريّة الإسلاميّة، وتارة من موقع الشعوب الإسلاميّة، فتصدير الثورة من موقع الجمهوريّة الإسلاميّة يعني، بحسب السيد الخامنئي، «تصدير ثقافة الإسلام في صناعة الإنسان، وتصدير الصفاء والإخلاص والاعتماد على القيم الإنسانية والإصرار عليها» (١٩,٤,١٣٦٨). أما تعريف المفهوم من موقع المسلمين، فهو «أن تنظر الشعوب إلى تجربة أمة استطاعت أن تنهض بالاتكال على الله وبالاعتماد على نفسها، وأن تقف على قدميها ولا تستسلم، فإذا نظرت شعوب العالم إلى أمة مثل هذه ستعزّز ثقتها بقدرتها على إنقاذ نفسها من الظلم، وهذا هو ما حصل»[٢]. وكانت إحدى نتائج تصدير الثورة ولادة تيار يبثّ الرّعب في نفوس زعماء الاستكبار.

«... لم تكن الثورة الإسلاميّة تغييرًا يحدث في داخل البلد فحسب، بل خلقت ثقافة تركت تأثيراتها على الأذهان في كافة البلدان الإسلاميّة

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٣٠.
(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٢/١١/١٨.

بدرجات مختلفة، خصوصًا أذهان الشباب والمثقفين والجامعيين. لا شك أنكم سمعتم عن ميول شريحة الشباب في البلدان الإسلاميّة نحو الثورة والسيد وقيم الشعب الإيراني وصموده، بيد أنّ ما سمعتموه أقل بكثير من الموجود على أرض الواقع، فقد أضحى التفكير الإسلاميّ وفكر الصحوة الإسلاميّة والعودة إلى الإسلام والتمسّك به أمرًا راسخًا في الأذهان»[١].

«... أن بذرة الأمل التي نثرت في قلوب الشعوب وزرعت وسُقيت ونمت وأثمرت كانت ناشئة من ثبات شعب إيران، لو أن شعب إيران تراجع، لو أننا تخلّينا عن شعاراتنا، لو أننا انحنينا أمام تهديدات الاستكبار العالمي وتهويلاته وضغوطاته، لكانت ورود الأمل هذه، والتي نمت وترعرعت في قلوب الشعوب قد ذوت وماتت»[٢].

«... ما قبل الثورة، كان شعبنا وبلدنا أسيرين للثقافة الغربية، ولكن بفضل موقف السيد أصبح التأثير الثقافيّ متبادلًا، وكذا بدأ هناك تيار ثقافي يتحرّك في مجتمعنا الإسلاميّ نحو الخارج بنحو بعث الرّعب مرات عديدة في قلوب زعماء الاستكبار، وما زالوا يعبّرون عن رعبهم ذاك في تصريحاتهم التي يدلون بها في الوقت الحاضر، ويتّهموننا فيها بمحاولة تصدير الثورة، في حين أننا لم نغلّب ثورتنا حتى نصدّرها إلى أي مكان. غير أنّ ذاك الكلام كان يقصد به هذا التيار الثقافيّ الذي أخذ ينتشر في البلدان الإسلاميّة وحتى غير الإسلاميّة ويبثّ فيها الوعي»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٢.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٥.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١.

٥. هويّة متحضّرة:

مَيَّزَ السيد الخامنئي الاختلاف في مفهوم التحضّر بين منظورين: منظور خاص بـ «المجدّدين»، وآخر خاص بالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

وفق منظور المُجدّدين، عَرَّفَ السيد الخامنئي التحضّر على أنّه تقليد الغرب في الأساليب الظاهرية والفكرية، أما وفق منظور السيد الخامنئي الذي يمثل منظور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، فالتحضّر هو التنافس على التقدّم والسّعي نحو سدّ مكامن الضعف في إدارة الأساليب الظاهرية والفكرية، وكذلك في إدارة المجتمع وفي مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية، وفي كل المواطن التي يكون للعقل فيها مسرح للحكم والقضايا، اما في المجالات التي لا يكون للعقل فيها مثل هذا المسرح، فيكون المجال هو مجال التعبّد بالأحكام الشرعية[١].

حدّد السيد الخامنئي السياق اللاّزم توفيره ليتحقق التحضّر على نحوه الأفضل، فيجب أن يتحقق التأمل والتعمّق والعمل الصالح والتفكير والسعي العملي والجهاد واستقبال المخاطر في كل الساحات وشحذ الهمم. وفي سياق متّصل، شرح السيد الخامنئي كيفية التعامل مع الثقافات والحضارات الأخرى، خاصة الحضارة الغربية، واضعًا مجموعة محددات تضبط سياسات التحضّر، نذكر منها:

- السياسة الأولى: الجمع بين السنن والتحضّر الحقيقي: الجمع بين التراث والحداثة، والجمع بين الإيمان والعلم، والحب والعقل[٢].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٦.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/٦/٢٣.

- السياسة الثانية: الأخذ بمحاسن ثقافة الغرب[١]. وفي أحد خطاباته، أطلق على هذه السياسة «التبادل الثقافيّ»، معرّفًا إياها بأنها فعل اختياري يقوم على انتقاء ميّزات ثقافة الآخر من أجل ترميم الثقافة وتكميلها، وتحقيق ذلك مرهون بأن تكون الأمة قوية وقادرة.
- السياسة الثالثة: توظيف الأدوات والعلوم التي أساء الغرب استخدامها في فرض هيمنتهم على الشعوب وإعادة توجيه بوصلتها نحو نشر القيم الحقيقية والمعرفة لكل شعوب العالم.

الآليّة الثانية: تبيان فعل الهويّة

تجاوزت وظيفة خطاب السيد الخامنئي بناء معالم الهويّة على مستوى الذات وعلاقتها مع الآخر إلى وظيفة أكثر عمقًا وتأثيرًا تبيّن فيها فعل الهويّة الثقافيّة وأثرها في الصراع. اتّخذ فعل الهويّة أشكالًا متعدّدة في سياق الصراع، تجلّى أثره على القوى الاستكبارية تارةً، كما انعكس على الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة تارةً أخرى. ويمكننا حصر هذه الوظائف على النّحو التالي:

١- جعل الهويّة الثقافيّة المحدّد الأسـاس لسياسة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة «سياستنا تخضع لثقافتنا»، وكذلك في تفسير سلوكيات الدول تجاه سياساتها، فضلًا عن بيان دورها في بناء العلاقات مع الآخر، خاصة العدوّ المتمثل بالاستكبار الغربي.

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢.

«... الجمهوريّة الإسلاميّة لم تبدأ حربًا مع العالم، بل إنّ وجود الجمهوريّة الإسلاميّة نفسه بمعنى المبادئ والأهـداف والشعارات المطروحة فيها، والتي تتلخّص في حكومة الدين وفي المجتمع الديني هي التي تخلق الأعداء وتشعل الحروب، هي نفسها الحرب المعروفة بين الحق والباطل.... نحن شعارنا هو التوحيد وولاية الله وولاية أولياء الله والعدالة الاجتماعية. لهذه الشعارات أعداؤها. إننا نعارض الظلم، هذه هي مدرستنا وعقيدتنا، فنحن خصوم الظالم وأعوان المظلوم. وهذا الموقف يخلق أعداءً ويخلق عداوة ويوجد معارك»[١].

٢- جعل الهويّة الثقافيّة أولوية دفاعية يجب الاستعداد والدفاع عنها لما تمثّله من أهمية ورأس مال معنوي مهم للشعب الإيراني الضامن لسيرورته وبقائه حيًّا وقادرًا.

«... إذا أراد شعب ما التّخلّي عن هويّته وثقافته، فإن على هذا الشّعب الاستعداد لتلقّي مختلف الضّربات التي ستلحق به. هذا الشّعب لن يمتلك الرّوح مجدّدًا وسيستطيع الاستكبار الهيمنة عليه بسهولة ودفعه للعبوديّة»[٢].

«... كل أمّة لا تعرف أهمية الدفاع ليست أمة حيّة. لا يمكن أن تكون لنا أعين وقوة تحليل، بحيث نرى مؤامرة الغطرسة العميقة العنيدة ضد الإسلام والثورة والنظام الإسلاميّ، وفي الوقت نفسه لا نفكّر في الدفاع»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٨/٣/١٥.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٤.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٠.

٣- إبراز الهويّة الثقافيّة كدافع أساسي لاستمرار الشعب الإيراني في الدفاع عن بقائه ووجوده ومواجهة مخططات أعدائه وعدم الغفلة عنهم.

«... إن الوعي في مواجهة أساس الهجوم الذي تتعرّض له الهويّة الثقافيّة هو ما يعزّز مقاومة ودفاع هذا الشّعب»[١].

«... الإيمان الديني هو ذلك الاعجاز القادر على حشد أبناء الشعب وابقائهم في الساحة وتذليل المصاعب. ان أبناء الشعب شعروا بما عليهم من واجب ديني وعلى إثر ذلك نهضوا بعملهم الصالح. والعمل الصالح كان أن ينزلوا إلى الشوارع ويعبّروا عما يريدون ويقولون ها هو الشعب الإيراني. وبهذه الحركة الجماهيرية احبط ذلك الكم الهائل من الاعلام المعادي»[٢].

٤- التأكيد على محورية الإسلام في الهويّة الثقافيّة وتأثيرها على دور إيران في صناعة الحضارة على المستوى العالمي:

«... الإسلام هو الركن الأهم من بين أركان الثقافة الوطنية، ونحن كشعب إيران نفتخر بأنّ ثقافتنا ولغتنا وآدابنا وعاداتنا ولباسنا وجميع أمورنا ممتزجة بالإسلام منذ أكثر من ١٣٥٠ سنة، ولعلّه لا يوجد شعب آخر امتزج بالإسلام بالنحو الذي فعلنا. إن الإسلام والثقافة الإسلاميّة هي من ضمن ثقافتنا الوطنية الشعبية. الوطنية هنا ليست في مقابل الإسلاميّة بل هي عين الإسلاميّة»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٤/٧/١١.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/١٢/١٢.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٣/٨/٣.

«... فبفضل الإسلام وببركة الثقافة الإسلاميّة العريقة وما لهذا الشعب من تاريخ مشرق توجد ثروة علمية هائلة واستعدادت وقابليات قد ورثتموها»[١].

٥- التأكيد على محورية نهج الثورة في الهويّة الثقافيّة وتأثيرها على دور إيران الريادي في العالم:

«... إيران التي ترونها اليوم ليست إيران ما قبل الثورة. إيران ما قبل الثورة كانت بلدًا متخلّفًا، بلدًا منسيًا غير مبدع، فرغم كل هذه المواهب والمواريث التاريخية والثقافة الغنية لم يكن لهذا الشعب أي دور وظهور في ساحات العلم، ولا في ساحات السياسة في العالم، ولا في مجالات التقنية... بل كان تابعًا محضًا»[٢].

«... إن هذا العهد الجديد الذي أطلقه السيد بنهضته وثباته واتكاله على الله واحترامه وتوقيره للقيم الروحانية وثقته بالشعب، هو الذي سينقذ الشعوب من نير القوى الدولية ويجعل زوال القوى المادية الكبرى في العالم قريبًا، وهذه من بركات ذلك الرجل العظيم. وإن شعبنا؛ بسيره خلف قائده العظيم، والفذّ كان أول شعب يسير في هذا العهد الجديد ويرسّخ دعائمه ويغدو بمقاومته شاهد صدق أمام شعوب العالم على ما ندّعي»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٥/٥/٣.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٣١.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤.

«... الجمهوريّة الإسلاميّة التي أسّسها السيد الخميني لنا وأهداها لبلادنا، بوسعها تأمين هذه الخصائص: الاقتدار الدولي، الاقتدار السياسي، والعزة ورفاه الدنيا، وعمارة الآخرة معنويًا»[١].

٦- قدرتها على صيانة البلاد واستقلالها:

«... الإيمان المصحوب بالإرادة القوية، الإيمان المرفق بالتصميم، الإيمان المصحوب بالرؤية المبنية الواضحة، هذا ما أنقذ البلد في يوم من الأيام. واليوم أيضًا أهم سبب وعامل في حفظ البلد وشعبه هو هذا الايمان، هو روح البطولة، وروح المقاومة والثبات مقابل العدو، وروح النفور من العدو الذي لا يعادي أرواح هذا الشعب وأمواله فحسب، إنما يعادي ثقافته وإيمانه وإسلامه أيضًا، روح عدم الثقة بالعدو والاستعداد للدفاع، هذه كلها روحيات سامية تحفظ عزة البلاد واستقلال الوطن وتفجّر طاقاته وتجعله سيدًا عزيزًا»[٢].

«... دولة إيران اليوم شجرة ضخمة كبيرة، لا يمكن لأمريكا والكيان الصهيوني اليوم أن يرتكبا حماقة ويهددا الشعب الإيراني. لقد انهزمت تهديداتهم وتحركاتهم اليوم، وسوف تنهزم بعد اليوم أيضًا، والحظر سوف يهزم وسياساتهم سوف تكتب لها الهزيمة هي الأخـرى، بفضل المقاومة»[٣].

«... ما الذي استطاع رفع عماد هذا الصرح العظيم والبناء الإسلاميّ الشامخ بعد كل تلك القرون في هذا البلد؟ إنها تلك القيم (الدين،

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١٠.
(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٩/٣/٢٨.
(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٩.

الايمان، الاستقلال الاقتصادي، الاستقلال الثقافيّ، رواج الأخلاق الفاضلة،...) التي تقرّر أن تكون أساسًا للنظام الجديد والحياة الجديدة في هذه البقعة من العالم»[١].

٧- قابليتها لتفكيك هيمنة النظام الاستبكاري وتغيير الخارطة السياسية للعالم، عبر إعادة إنتاج مشروع ثوري إسلاميّ في كل بلاد المسلمين:

«... لقد وضعت الثورة الإسلاميّة بانتصارها حتميّة النظام القيمي للاستعمار الغربي والعالم الرأسمالي في دائرة الشك والسؤال، بالتالي أخذت تهدّد مستقبلهم بالكامل، ولمّا نهضت الثورة على أساس الإسلام، فإن معنى ذلك أن الثورة أضحت مشروعًا ممكنًا بالقوة، وقابلًا للتحقق الفعلي في كل مكان يتواجد فيه مسلمون»[٢].

«... بالثورة الإسلاميّة في إيران وبإقامة النظام الإسلاميّ في هذه البقعة من العالم وبالجهاد المرير الذي خاضه شعبنا خلف قائده العظيم حفاظًا على الثورة والإسلام، قد برز عهد جديد إلى الوجود يختلف عن العهد الذي سبقه... قد انطلق العهد وشق طريقه، شاءت القوى المادية في العالم المادي أم أبت، وشاءت أمريكا أم أبت، فإن آثار هذا العصر الجديد على الشعوب والـدول المستضعفة وكذا على الـدول الكبرى والقوى العظمى هو أمر ملموس... وعندما تقع الكثير من الشعوب والحكومات على وجه البسيطة تحت تأثير هذا العصر الجديد، فحتى

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/٥/١٢.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٣١.

الخارطة السياسية للعالم سوف تتبدّل. ينبغي أن نسمي هذا العهد الجديد بـ«عصر السيد الخميني»[١].

«... إن انتصار الثورة الإسلاميّة وعظمة السيد قد هزّت الغرب وزلزلت نظام التسلّط، الكثيرون بدأوا يفكرون بالتوجّه نحو البحث عن هذا الأمر، فرجعوا إلى القرآن وأدركوا حقائق من الإسلام وانجذبوا إلى الإسلام. في تلك البرهة، فتح فصل جديد وبدأ اندفاع وإقبال جديد نحو الإسلام، استمر فيما بعد»[٢].

الآلية الثالثة: الدعوة إلى الدفاع عن الهويّة الثقافيّة

«... الدفاع جزء من هويّة الأمة الحيّة. كل أمّة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ليست في عداد الأحياء، كل أمة لا تفكّر بالدفاع عن نفسها ولا تجهّز نفسها هي في الواقع ميّتة، كل أمّة لا تعرف أهمية الدفاع ليست أمة حيّة. لا يمكن أن تكون لنا أعين وقوة تحليل، بحيث نرى مؤامرة الغطرسة العميقة العنيدة ضد الإسلام والثورة والنظام الإسلاميّ، وفي الوقت نفسه لا نفكّر في الدفاع»[٣].

عندما يكون الخطاب هو المساحة اللّغوية التي تُبنى فيها الهويات، تُصبح دعوة الشعب إلى الدفاع عنها هو «فعل» الخطاب ذاته، أي الفعل المراد تحقيقه من الخطيب عبر الخطاب.

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/١٢/١٠.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٠.

تحضُر أدبيات الجهاد والدّفاع في خطابات السيد علي الخامنئي في حديثه عن مخططات العدوّ في استهداف الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة. تساهم مجموع خطاباته حول أشكال التصّدي للعدوّ وإفشال مخططاته في تحديد الأطر القيمية والمفاهيمية للإستراتيجية الدّفاعية لحماية الأمن القومي للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة.

تؤدي شخصية السيد الخامنئي المركّبة من الخبرات العسكرية والإداريــة السياسية والمعرفة الدينية الحوزوية دورًا مهمًّا وبـارزًا في تكوين الفكر الدفاعي الشامل لمختلف القطاعات الحيوية للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة.

استطعنا من خلال تتّبع خطابات السيد الخامنئي استخلاص الإطار المفاهيمي للفكر الدفاعي، وتحديد أسسه المعرفية على نحو مكّننا من تقديم التأصيل النظري المعرفي للنموذج الدفاعي، على أن نحاول في الفصول اللّاحقة استخلاص النموذج الدفاعي في حماية الأمن الثقافيّ، كأحد أهم قطاعات الأمن القومي الإيراني.

الإطار المفاهيمي للفكر الدفاعي عند السيد علي الخامنئي

يُعرّف السيد في خطاباته الدّفاع بأنه الردّ على أي عدوان أو تهديد يستهدف الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على مستوى ثقافتها وقيمها ونظامها الإسلاميّ.

جاء موضوع الدّفاع في خطاباته مرفقًا بشبكة مفاهيمية متكاملة شكّلت الإطار الفكري لما يمكن أن نطلق عليه النموذج الدفاعي في فكر السيد الخامنئي.

تتميّز هذه الشبكة المفاهيمية المرتبطة بموضوعة الدفاع بنسق من العلاقات والتفاعلات بين طرفين اثنين، يصوغ السيد الخامنئي في خطاباته معالم هويتهما وأسسهما الفكرية: الطرف الأول الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، والطرف الثاني هو العدوّ (جبهة الاستكبار).

خصائص «الدفاع» في خطاب السيد الخامنئي

بعد توضيح الشبكة العلائقية المفاهيمية المرتبطة بموضوع «الدفاع»، نستخلص أن الدفاع قدّم كخيار سلوكي واجب تحقيقه ضد العدوّ، ومع تتبّع لسياقات الحديث في الخطاب عن الدفاع، تبيّن لنا أن للدفاع خصائص عديدة، حصرناها في التالي:

١. رد فعل واجب ومستمر:

يُبرّر السيد الخامنئي وجوب الدفاع واستمراريته ضد مخططات العدوّ بتوضيح السبب الأساس الذي يدفع العدو بضرب الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، المتمثّل بانتماء إيران إلى الفكر الإسلاميّ الأصيل، وتبنّيها الثقافة الثورية المقارعة للاستكبار والنظام الإسلاميّ في الحكم.

«نحن نقول إن الدفاع عن المجتمع الثوري يبقى دائمًا الواجب الأهم والضروري؛ لأن التهديد الذي يتربّص بمجتمعنا الثوري يمثّل تقريبا قضية مستمرة»[١].

«... إذا اعتبرنا وقبلنا بأن الجمهوريّة الإسلاميّة هي توأم الثورة الإسلاميّة ومنصهرة فيها، فعلينا أن نفترض أن العداء والتهديد في مواجهة

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/٩/٢٧.

الثورة سيلازمان الجمهوريّة الإسلاميّة أيضًا ملازمة الروح للجسد والقوة التي يجب أن تدافع عن هذه الثورة يجب أن تكون مستمرة»[١].

وبناء عليه، وطالما أن العدو يستهدف الثورة والإسلام، فإن الشعب الإيراني بطبيعة الحال سيدافع عمّا وصّفه السيد الخامنئي بـ «رأس مالنا القيّم والعظيم المتمثّل بالثورة والإسلام والنظام الإسلاميّ».

٢. فعل مشروع:

يعتبر السيد الخامنئي أن اللّجوء إلى الدفاع هو خيار مشروع ومنطقي؛ كونه جاء ردًّا على اعتداء من العدو. كما أنّه أكسب خيار الدفاع الشرعية الأخلاقية عبر نفيه عنها أي سلوك عدائي منافٍ للثقافة الإسلاميّة ولتاريخ الشعب الإيراني.

«... نحن لا نعتدي على أيّ شعب أو دولة، ولن نقدم على أيّ حرب دمويّة أبدًا، وقد أثبت الشعب الإيراني ذلك، لكننا في الوقت نفسه شعب وأمة تقاوم بحزم أي عدوان وأي تهديد، وسوف نرد بكل قوة»[٢].

«... الشيء الوحيد الذي بوسعه حماية إيران والنظام الإسلاميّ هو العزيمة الحاسمة على الدفاع المشروع والمنطقي»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/٧/١٠.

(٢) غير محدد تاريخ الخطاب، ولكن ورد هذا المقتطف أيضًا في دراسة لهادي مراد بيري تحت عنوان «النموذج الدفاعي في فكر الإمام الخامنئي الدفاعي»، مترجم للعربية في مركز الثورة الإسلامية، ص ٢٣.

(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٣/٨/٦، خلال لقائه بمسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

٣. شامل:

يؤكد السيد الخامنئي على صفة الشمولية في الدفاع عن الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ضد مخططات العدو. بعد تتبع عدة خطابات متفرّقة، يتبيّن لنا أن الشمولية قد تكون على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: مرتبط بالقطاعات والمجالات الواجب استعدادها للتصدي وإعلانها الدفاع والمشاركة به.

المستوى الثاني: متعلّق بالفئات والموارد البشرية المنخرطة في عملية الدفاع، بدءًا من القوات المسلّحة، وصولًا إلى الشعب الإيراني.

المستوى الثالث: يُشير إلى التنوّع بين الأشكال والأساليب: بدءًا من الاستعداد وإطلاق التهديدات الردعية، وصولًا إلى توجيه ضربة شاملة للعدوّ.

«... علينا أن نقابل التهديد بالأهبّة والاستعداد، ونقابل الإعلان عن الحرب بالإعلان عن الدفاع الشامل، وأوكّد على كلمة «شامل»».

«... فنحن نهدد كل من يفكر بالاعتداء على الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بأن يعدّ نفسه لتلقّي الصفعات القوية والقبضات الحديدية من الشعب الايراني القوي والقوات المسلحة والجيش الإيراني وحرس الثورة والتعبئة الشعبية، وقبل كل ذلك، من الشعب الإيراني العظيم»[١].

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٨.

٤. شعبي:

يُركّز السيد الخامنئي على دور الشعب والتعبئة الشعبية في الدفاع عن الهويّة الثقافيّة، كما عند كل استحقاق مصيري تمرّ به البلاد، وهذا ما يصطلح عليه السيد بـ«المشاركة الشعبية»، موضّحًا فكرته الأساسية بأنّ «الشّعب» هو صاحب القرار، وهو من يحدّد المصير ويُحبط مؤامرات الأعـداء، وهو من يتولّى توجيه المسيرة وجعل شعارات الثورة نابضة وحيّة طالما كان التحرّك في سبيل الله وفيه إخلاص وحسن نية[١].

«لقد كان دفاعنا دفاعًا شعبيًا، واليوم أيضًا إذا تعرض النظام الإسلاميّ لأي تحدٍ أو مشكلة لا سمح الله، فسيكون الحل حلًا شعبيًا. فالنظام شعبيّ، والثورة شعبية، والحكومة شعبية، والدفاع شعبيّ أيضًا»[٢].

أسس الفكر الدفاعي لدى السيد الخامنئي

يقوم الفكر الدفاعي للسيد الخامنئي على مجموعة أسس، بعضها يمكن تحديده بوضوح من خلال خطاباته التي يكشف فيها حقيقة الصراع بين جبهة الاستكبار والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وما قد يترتّب عليها من إجـراءات للتصدّي والدفاع؛ أما الأسس الأخرى، فقد تشكّلت تباعًا من خلال مسيرة السيد الخامنئي والتجارب التي خاضها، وصولًا إلى تعيينه على رأس الحكم في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

يَبني السيّد الخامنئي خطابًا تتفاعل فيه مجموعة من العناصر في سبيل تبيين حقيقة الصراع مع العدو، وإقناع الشعب بضرورة القيام

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/٨/٢.
(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٣/٧/٣٠.

بواجب الدفاع عن الهويّة الثقافيّة والنظام الإسلاميّ للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة.

أفضى توظيف هذه العناصر وتواترها باستمرار في خطابات السيد الخامنئي إلى تكريسها كسمات أساسية في موضوع الدّفاع والتصدّي، فضلًا عن اعتبارها مُحدّدًا أساسيًّا يمكن للباحث أن يستخلص منه مجموع الأسس التي يقوم عليها فكر السيد الخامنئي الدفاعي.

١. الفلسفة الإسلاميّة:

غالبًا ما يُعرّف السيد الخامنئي في خطاباته الجمهور بالمنظومة المعرفية التي يستمدّ منها الخطوط الرئيسية لنهجه وإدارته للبلاد، وأحيانًا أخرى يبيّن أسسها في إطار إجراء مقارنة بينها وبين الحضارة الغربية لإثبات حقيقة أفول الحضارة الغربية مقابل تزايد فرص نمو النموذج الإسلاميّ في العالم.

يُعرّف السيد الخامنئي الفلسفة الإسلاميّة على أنها الأصول الفكرية التي تعبّر عن النظرة الكونية والفكرية الإسلاميّة والتي تؤثر في سلوك المرء، فردًا كان أو حكومة، وفي تنظيم العلاقات الاجتماعية وترسيخ أسس الحكومة الإسلاميّة، وفي إدارة المجتمع والعالم.

في خطاب له، عرض الخامنئي أسس الفلسفة الإسلاميّة بلحاظ ما يميّزها عن الحضارة الغربية: الاعتقاد بالتوحيد، الاعتقاد بالإنسان وتكريم منزلته، الاعتقاد باستمرار الحياة بعد الموت، الاعتقاد بمواهب الانسان اللامتناهية، الاعتقاد بالسير نحو سيادة الحق وطريق الصلاح[١].

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٢.

«... ينبغي الاهتمام بالبنية التحتية الفكرية لهذه المسيرة التي هي ليست بشعار، بل تقف خلفها الفلسفة الإسلاميّة بكل عظمتها وجلالها وعمقها، فالفكر الإسلاميّ العميق الرائع يعضد هذه المسيرة وهذا النهج، ولولا ذلك لما كان لشعبنا القدرة على المقاومة»[١].

والجدير ذكره، أنّ السيد الخامنئي استفاض في توضيح أصول الفكر الإسلاميّ في سبعينات القرن الماضي في مسجد «السيد الحسن» في مدينة مشهد. جُمعت محاضراته في مجموعة إصـدارات، كان أحدها «الفكر الإسلاميّ على ضوء القرآن الكريم» الصادر عن دار المعارف الحكمية. اللافت في محاضرات السيد الخامنئي، أنّه يُقارب المنظومة الفكرية الإسلاميّة بذهنية إحيائية حضارية استنهاضية، ويقدّم أصول الدين على قاعدة عملية تغييرية يُحرّر التنظير الإسلاميّ من الإطار الذهني المحض، ويتّجه به نحو المسير العملي، حيث يجعل من المنظومة الإسلاميّة مدرسة اجتماعية تقوم على مبادئ منسجمة متناسقة يتكامل فيها النظري والعملي، يستتبعها التزامات ومسؤوليات تقع على عاتق المجتمع الإسلاميّ. استدرك نظام الشاه لاحقًا لحركة الخامنئي في توعية المجتمع على مفاهيم الفكر الإسلاميّ ودعوته الاستنهاضية في تشكيل المجتمع الإسلاميّ الحقيقي، فألقى القبض عليه وساقه نحو مراكز التعذيب.

٢. الإيمان الديني:

يُعرّف السيد الخامنئي الإيمان الديني بأنه عبارة عن ضمان مجموعة من استعدادات الإنسان وقدراته التي تحدِث تأثيرًا في اختيار الطريق والمسير عليه. ويعزو إليه منشأ الثورة الإسلاميّة في إيـران، وكذلك

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٥/١/٢٣.

استمرارية صمود الشعب الإيراني ضد محاولات أعداء الثورة والجمهوريّة الإسلاميّة ومساعيهم. يساوي السيد الخامنئي مفهوم الايمان بمفهوم آخر وهو «التديّن» المنطلق من وعي وإدراك وعقلانية، ومقرون بالعمل والحركة، والقادر على إحداث الأثر وتحقيق الانتصارات.

«... الإيمان الديني هو العنصر القادر على حشد وتعبئة كل أبناء الشعب وإبقائهم في الساحة، هذا هو العنصر ذاته الذي أثّر في صدر الإسلام أيضًا، وكان له أثره في ثورتنا أيضًا»[١].

«... الشعب يكافح ويناضل بقوة إيمانه وعقيدته... شعبنا منذ أن قام بثورته وإلى اليوم يؤمن بأنه ينبغي أن يحارب أعداء الإسلام ويجب عليه الكفاح ضد المعتدين... يجب عليه أن يترك جانبًا كل الملذّات ويحضر في ساحة الكفاح. شعبنا كان يؤمن بهذه العقيدة فنزل إلى الساحة وانتصرت الثورة، وانتصر في الحرب، وتقدّمنا إلى الآن بحمد الله»[٢].

٣. السنّة الإلهية:

يستند السيد الخامنئي في تبيان أهمية الدفاع عن الهويّة الثقافيّة على السنن الإلهية، وهي قوانين إلهية تحكم مسيرة البشر وحركة التاريخ، وهي غير قابلة للتبديل والتغيير، فتصير بمثابة وصايا إلهية، ما إن يعمل بها الإنسان حتى يستطيع تحقيق الأهداف الإلهية.

«... إننا نعتقد أن القوى المادّيّة عندما تواجه الحقّ وجهًا لوجه، فستعود ورقية خاوية، وحينما لا يؤبه لقوى الباطل ويواجههها الناس بإرادتهم، فلن تستطيع تلك القوى فعل شيء، ولن يكون لها أي ردة فعل،

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/١٢/١٢.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٣/٥/٥.

ومتى ما اشتبكت القوى الشعبية القديرة مع قوى الباطل، فسوف تفرض عليها التراجع تلقائيًا... لكن الذي علم سر حركة التاريخ والسنن الإلهية كان يصمد ويقاوم ويمنح الانسجام ويعزّز الإرادة»[١].

«... سبيل المقاومة والصمود هو الطريق الوحيد للانتصار، ولا يوجد طريق آخر، حتى لو كان المقاومون فئة قليلة، حتى لو كانت تلك القوة التي تنهض المقاومة حيالها جيشًا من الدرجة الأولى في العالم ومدعومًا من أمريكا... مهما يكن فهذا سر وسنة إلهية»[٢].

٤. الحقائق القرآنية:

يستشهد السيد الخامنئي في خطابه بآيات من القرآن الكريم ليُبيّن دور المقاومة والاستقامة في الميادين الصعبة، والتأكيد على حتمية الانتصار لجبهة الحق ضد الباطل كحقيقة ثابتة لا مجال للشكّ فيها.

«... في القرآن الكريم، كثيرة هي الآيات التي تذكرنا بهذه النقطة: حتمية الانتصار وتعلمنا إياها وتخبرنا بها ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾... ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾... ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾...»[٣].

«... العزة الحقيقية والكاملة حسب المنطق القرآني هي لله ولكل من هو في الجبهة الإلهية. في المواجهة بين الحق والباطل، تكون العزة من نصيب الذين يتخندقون في الجبهة الإلهية، هذا هو منطق القرآن الكريم، يقول عزّ وجل في سورة فاطر: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾»[٤].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٦.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١٣.

(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٨/٣/١٥ خلال لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة.

(٤) من خطاب له في الذكرى الثالثة والعشرين لرحيل الإمام الخميني قدس سره، بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣.

٥. الحقائق التاريخية:

إن رؤية السيد الخامنئي وتفسيره التاريخي للأحداث الرّاهنة تجري بالرجوع إلى قواعد العلل والأسباب، والاستفادة من التجارب التاريخية، واستخلاص نقاط القوة ومكامن الضعف في إدارة الصراع، فهو يقدّم قراءة لنماذج مقاومة من العصر الإسلاميّ في عهد النبي محمّد ﷺ وآل بيته والأئمة، وكذلك لتجارب تاريخية تغطّي مراحل تطور استعمار الشعوب.

أ - تاريخ النضال الإسلاميّ:

ينطلق السيد الخامئني في فهمه للتحديات الرّاهنة وكيفية مواجهتها من تاريخ الأنبياء وتاريخ النضال الإسلاميّ للنبي محمد ﷺ وآل بيته والأئمة، يستخلص من سيرهم نماذج للمقاومة مُمكنة التقليد والاتباع، ويقاربها بخصال الشعب الإيراني وقادته ليبيّن المشتركات فيما بينهما ليختم الخطاب باستشراف مآل الصراع بين القوى الاستكبارية والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في كلمة واحدة: النّصر.

«... حيال الظلم الحديث الذي يجترحه المستكبرون في العالم وعلى رأسهم أمريكا للهيمنة على الشعوب، ما من أحد يتجرّأ على قول «لا» سوى الشعب الإيراني...، فلاحظوا أنّ رسولًا وحده وبمفرده فقط يقول قول الحقّ أمام كل الأفكار المعارضة، ويقف بقوة واقتدار مقابل الآراء المخالفة. كان لإبراهيم عليه السلام مثل هذا الوضع. هؤلاء هم الذين يصنعون التاريخ ويوجهونه؛ ولهذا السبب يسجل اسم إبراهيم وأمثال إبراهيم والأنبياء الإلهيين الكبار في التاريخ»[١].

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٤/٣/٢١.

«... إن درس رسول الإسلام لأمته اليوم ولكل البشرية هو أن يكونوا علماء وأقوياء، وهو درس الأخلاق والكرامة والرحمة والجهاد والعزة والمقاومة»[١].

«... في خلاصة حياة السيد أمير المؤمنين المليئة بالمنعطفات أرى هذه النقطة وأقولها لكم، وهي أنّ أمير المؤمنين منذ بدايات شبابه وإلى حين وفاته توفر على صفتي البصيرة والصبر، أي اليقظة والمقاومة. أجل، عصمة أمير المؤمنين لا تقبل التقليد وشخصية السيد أمير المؤمنين لا تقبل المقارنة بأي شخص، لكنّ هاتين الخصوصيتين في أمير المؤمنين قابلتين للتقليد والاتباع»[٢].

«... الصمود مقابل العدو من خصوصيات الولاية؛ لأن أئمتنا هم نموذج هذا الصمود. خذوا السلسلة من نموذج كربلاء إلى أبناء الأئمة الذين قاوموا وصمدوا في أصعب الظروف واستشهدوا إلى علي بن موسى الرضا [عليه الآف التحيّة والثناء] الذي سار إلى حرب العدو بسياسة إلهية، إلى موسى بن جعفر الذي تحمّل السجن سنين طويلة، إلى الأئمة من أبناء الرضا الذين تحملوا لسنين طويلة آلام النفي، وشتّى صنوف الألم في سبيل الله تحملها الأئمة منذ البداية إلى النهاية وعلى مدى هذه الأعوام الـ٢٥٠. لقد تعلم شعبنا هذه الأمور وهي دروس؛ لذلك نشاهد الشعب يصمد ويقاوم، وهذا الصمود هو الذي يحقق له النصر»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٢١.

(٢) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٨/١١/٣.

(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٥/٥/١٨.

ب - التجارب التاريخية:

يستعيد السيد الخامنئي نماذج تاريخية من استكبار القوى الغربية على شعوب العالم، وكيفية تصدّي الشعوب لها بأسلوب قصصي. يسرد بداياتها تحت عنوان «الاستعمار القديم» ويرسم مسار تطوّرها تحت عنوان «الاستعمار الحديث»، ليحدّد معالمها الجديدة وأدواتها وأساليبها المستحدثة تحت عنوان «الاستعمار ما بعد الحديث». وهو مفهوم يُشير على حدّ تعبيره إلى سياسة جديدة تفرضها الأجهزة الاستكبارية على الشعوب عبر ارسـال العملاء وخداعهم وتحريكهم عبر بذل الأموال والدعاية وأنواع الترغيب وتشويه للثقافات والقيم؛ لدفعهم نحو سلوكيات تصبّ بمصلحتها الخاصة؛ لإحكام هيمنتها على مفاصل دولتهم والاستيلاء على ثرواتها الوطنية[1].

«... انظروا أي واقع يعاني منه العالم اليوم وهو في قبضة الاستكبار العالمي الدامية. إنها قصة الاستعمار تستعاد اليوم بأسلوب جديد... ذات يوم، كان الاستعمار القديم... حيث هيمنوا على بلدان كالهند والجزائر وكثير من البلدان الأخرى. ومع يقظة الشعوب، انحسر هذا الاستعمار ولم يستطيعوا مواصلته... فابتدعوا مكانه الاستعمار الحديث الذي لم يكن الأجانب فيه يتولّون السلطة العليا في البلاد، إنما نصبوا أشخاصًا من البلدان نفسها...عصروا الشعوب ونهبوها لسنوات طويلة وجاؤوا بالمستبدّين والأنظمة الانقلابية إلى رأس السلطة، وحالوا دون مساهمة الشعوب وحضورها بأي طريقة أمكنتهم. ولاحظوا راهنًا أن هذا لم يعد مجديًا أيضًا؛ لذلك استخدموا طريقة جديدة للهيمنة على البلدان، وهي

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢.

التغلغل بين الشعوب. وهذا هو ما سمّيته قبل فترة الاستعمار ما بعد الحديث، وهو نوع من الاستعمار يرسلون عملائهم للبلدان ويخدعون مجموعات من الشعب ويحركونهم عبر بذل الأمـوال والدعاية وأنواع الترغيب والإغراءات الملونة وتجميع الشخصيات المستكبرة الظالمة في العالم، وهذا لن ينفعهم طبعًا؛ لأن وجه الاستعمار والاستكبار أقبح من هذا بكثير، ولن يستطيع إخفاء ظلمه وجوره وشروره»[١].

٦. النّهج الخميني:

يُخصّص السيد الخامنئي مساحة كبيرة في خطابه للحديث عن خصال السيد الخميني ونهجه وأسلوبه في مسار حياته وعمله وفكره، ليفسّر كيفية تحقيقه الثورة الإسلاميّة، وتقديمها كنموذج مقاوم قائم على أسس ومبادئ تصون الجمهوريّة الإسلاميّة وتحقق لها الاقتدار والحرية والاستقلال.

«... لو أراد هذا الشعب اليوم أن يقف بوجه القوى الاستكبارية التي لا تقنع بأي شيء أقل من ابتلاع الشعوب وأن يصون هويته واستقلاله ويختار طريق حياته برأيه وحريته، فلا سبيل له إلى ذلك سوى خط السيد وطريق السيد الخميني، ويجب أن يعتمد أفكاره ومنهجه وأسلوبه في مسار حياته وعمله وفكره»[٢].

«... إيران باتباعها دورس السيد الخميني الكبير نموذج بارز لهذه المقاومة الناجحة. ثلاثون عامًا من الحيل والمؤامرات طوال ثمانية أعوام،

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/١/٨.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٣١.

وإلى الحظر الاقتصادي ومصادرة الأموال، والحرب النفسية والدعائية، والاصطفافات الإعلامية، إلى محاولات الحؤول دون النمو العلمي... تحولت كلها إلى مشاهد لهزيمة العدو وانفعاله وتيهه وتجسدت الآية القرآنية: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾»[١].

٧. الوعد الإلهي:

استشراف السيد الخامنئي لمستقبل الصراع بين القوى الاستكبارية والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة قائم على إيمانه بالوعد الإلهي الذي يقول إن النصر مرهون بصمود أهل الحق وثباتهم ودفاعهم عن الحق. وهو وعد سبق وثبتت صحته في الكثير من المحطات والتحديات التي مرّت بها الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

«... شاهدنا بأعيننا طوال هذه العقود الكثير من حالات تحقّق الوعود الإلهية... أقولها لكم ولكل الشباب: ثقوا وآمنوا بوعد الله. الوعد الإلهي هو أن أهل الحق اذا صمدوا وثبتوا على حقهم، فإن الحق سينتصر. هكذا هو الحال في كل المراحل والأطـوار. لقد جربتم هذا الشيء خلال فترة الثورة والحرب والأسر وما بعد الحرب، حيث أراد الشعب الإيراني إعادة بناء البلاد، وفي المستقبل أيضًا يجب أن تتيقنوا من أن هذا الشيء ممكن عمليًا»[٢].

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٢٥.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣.

نموذج «البناء الاستراتيجي للهويّة الثقافيّة» في خطاب السيد الخامنئي:

بناء معالم الهويّة	
على مستوى الذات	على مستوى العلاقة مع الآخر
هويّة إسلاميّة متديّنة	هويّة أصولية
هويّة وطنية إسلاميّة	هويّة مقاومة
هويّة دينية علمية	هويّة مناصرة لمظلومي العالم
هويّة حيّة متجدّدة	هويّة موثرة
هويّة ثورية ذات مشروع	هويّة متحضّرة

الدفاع عن الهويّة

خصائص الدفاع

- رد فعل واجب ومستمر
- فعل مشروع
- شامل
- شعبي

أسس الفكر الدفاعي

- الفلسفة الإسلاميّة
- الإيمان الديني
- السنّة الإلهية
- الحقائق القرآنية
- الحقائق التاريخية
- النهج الخميني
- الوعد الإلهي

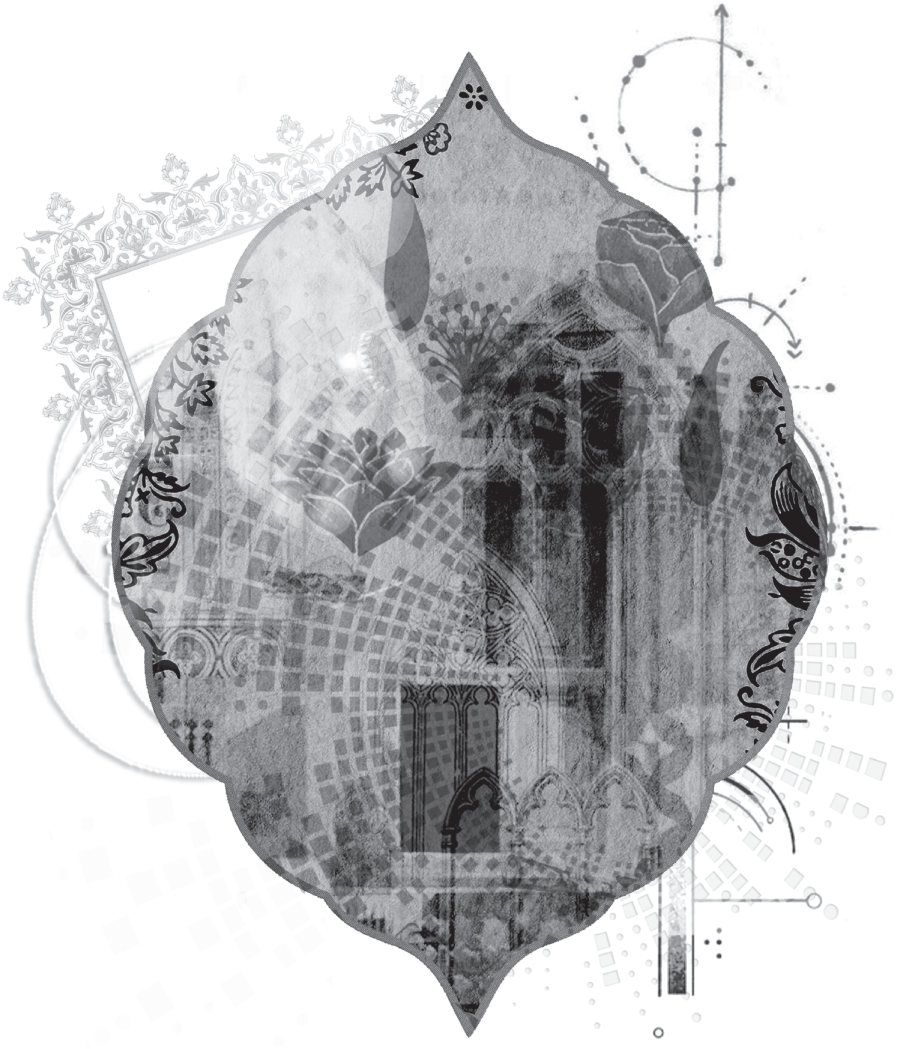

الفصل الرابع:

أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي

«... عندما نتطلّع إلى ساحة الصراع، نرى ساحة تقفون أنتم الشعب الإيراني المناصر للإسلام وخلاص المستضعفين والمعادي للنظام الاستكباري حول العالم، على أحد أطرافها؛ وفي الطرف الآخـر، يقف أعداؤكم أي زعماء جبهة الاستكبار المعادون للاسلام وأتباعهم الهمج الـرعـاع مـن أجـل مصالحهم الشخصية... معركتنا الآن قائمة... نحن نـخـوض الـيـوم معركة فكرية وثقافية وسياسية...».

السيد علي الخامنئي

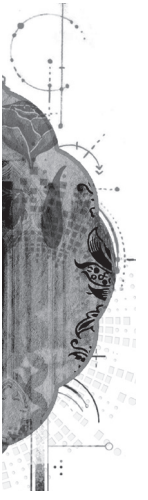

١. أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي

يرتكز السيد الخامنئي في مُعالجته للتحدّيات الثقافيّة على معرفة عسكرية حَصَّلها بفعل تجربته الميدانية في سوح الجهاد في حرب الدفاع المقدّس. تتجلّى هذه المعرفة في استخدامه مصطلحات عسكرية في حديثه عن التحديات الثقافيّة وسبُل مواجهتها، من قبيل: «حرب، خنادق، غزو، هجوم، تهديد، دفاع، جهاد، مقرّ، احتلال مواقع ثقافية». يعزو السيد الخامنئي سبب التفكير عسكريًا في مناقشة المسألة الثقافيّة إلى عدّة أسباب يمكن حصرها في سببين أساسيين، السبب الأول عبّر عنه صراحةً في إحدى خطاباته، مقدّمًا وجه الشبه بين الميدانين العسكري والثقافيّ، كونهما ميدانَي صراع وهجوم، أما السبب الثاني فيرتبط بوجود «العدو»، وهو عاملٌ استدلّينا عليه بلحاظ الحيّز الكبير الذي خصّصه عن العدوّ وأهمية معرفته وتشخصيه وكشف مخططاته.

لطالما سعى الخامنئي عبر خطاباته إلى الكشف عن مخططات العدوّ في الساحة الثقافيّة والدعوة إلى مواجهة التحديات والمخاطر وفق المنطق العسكري لتحقيق الأمن الثقافيّ، وهو الشرط الأساس لتقدّم البلاد وتطوّرها، يؤدي الخطاب فعلًا يُحوّل مسألة الغزو الثقافيّ أو ما تمّ

الاصطلاح عليه في دوائر القرار الإستراتيجي الغربي بـ«الحرب الناعمة» إلى قضية أمنية تستوجب من المسؤولين وأصحاب القرار التفكير في تحقيق الأمن الثقافيّ، وكذلك «فعلًا تأثيريًا» يستهدف الجمهور؛ لإقناعه بالنظام الفكري الذي أسّسه السيد الخامنئي في خطابه حول الغزو الثقافيّ وسبل مواجهته.

في هذا الفصل، سنحاول دراسة فعل الخطاب في إطارين اثنين. في الإطار الأول سنسعى إلى استخلاص وحدات عملية الأمننة من عدّة خطابات تُعدّ رئيسية في توضيح مفهوم الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة. أما الإطار الثاني فهو مرتبط بفعل التأثير في الجمهور والإجراءات اللّغوية المتضمّنة في فعل التأثير هذا، وهو إطار أساسي ومفصلي يرتكز عليه الفاعل المؤمنن لضمان نجاح عملية الأمننة المتمثلة بإقناع المسؤولين والجمهور.

استتندنا في عملية التحليل على الخطابات الموثقة والمفهرسة موضوعيًا في مجموعة «سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي» الصادرة عن دار المعارف الحكمية، وبعض الكتب المرجعية عن رؤيته في مواجهة الحرب الناعمة، وكذلك المؤلفات الصادرة عن دار الثورة الإسلاميّة[١].

(١) الكتب التي خضع محتواها لتحليل محتوى، إلى جانب سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي هي التالية:
معرفة الحرب الناعمة من وجهة قائد الثورة الإسلاميّة للكاتب علي محمد نائيني، من إصدار دار المعارف الحكمية. وكتاب آخر عنوانه **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، من إصدار مركز قيم للدراسات. وكتب أخرى صادرة عن مؤسسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث وهي التالية: **معرفة العدو**، **نظرية المقاومة**، وكتاب **العهد العالمي الجديد.**

وحدات عملية الأمننة في خطابات السيد علي الخامنئي:

شكّلت خطابات السيد الخامنئي فعلَ بناء لهويتين متصارعتين: الهويّة الأولى تجسّد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وما تمثله من ثقافة إسلاميّة ثورية مقابل هويّة معادية تعود لنظام الهيمنة وجبهة الاستكبار التي تتمظهر في عصرنا الحالي بالولايات المتحدة الأمريكيّة والحركة الصهيونية. ارتسمت ديناميكة الصراع بين الهويتين في إطار موجّه من جبهة الاستكبار ضد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ونظامها الإسلاميّ، ما يستوجب من الثانية بالتصدّي والدفاع ثمّ الانتقال إلى مرحلة الهجوم العكسي، وصولًا إلى تحقيق المرحلة الأكثر تقدّمًا، وهي قطع الطريق على العدوّ ومنعه من تحقيق أهدافه، والتي نصطلح عليها بمفهوم «الردع».

منذ بدايات توليه القيادة بعد وفاة قائد الثورة الإسلاميّة في إيران السيد روح الله الخميني، وصّف السيد الخامنئي ديناميكيّة الصراع الموجّه من العدوّ باتجاه الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بمصطلح مركزي وهو «الغزو الثقافيّ»، وتعدّدت مفرداته الموازية كاستخدام مصطلح «المعركة الثقافيّة»/ «الإغـارة الثقافيّة»/ «الحرب الثقافيّة»/ «الناتو الثقافيّ»[١]. ومع بدايات العام ٢٠٠٠، بدأ السيد الخامنئي يستخدم مصطلح «الحرب النفسية» والتي جاءت موازية لمصطلحات: الحرب الإعلامية، والحرب الثقافيّة، وحرب الأفكار[٢].

(١) علي محمد نائيني، **معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة**، ص ١٣.

(٢) **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، ص ٨١.

أما تسمية «الحرب الناعمة»، فقد وردت للمرة الأولى في كلمة ألقاها في تاريخ ١٤,٥,٢٠٠٩ خلال استقباله عوائل شهداء كردستان[١]، أي قبل الانتخابات بشهر تقريبًا، وبعد صدور كتاب «القوة الناعمة» عام ٢٠٠٥ الذي ألّفه نائب وزير الدفاع الأمريكيّ السابق ومدير مجلس المخابرات الوطني الأمريكيّ جوزيف ناي، إضافة إلى اكتمال الأدلة والمستندات التي جمعتها الأجهزة الأمنية في إيران، والتي تكشف عن أساليب وأدوات العدو بقصد إحداث الفتنة وشق صف أركان النظام الإسلاميّ.

ساهم «خطاب» السيد الخامنئي في «أمننة» الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة؛ لاشتماله على مفردات تخصصية ووحـدات أساسية تخاطب التهديد الوجودي وتَضفي الصبغة الأمنية عليه، والوحدات هي:

١- التهديد الوجودي:

حينما وصّف السيد الخامنئي الثقافة بأنها بـ«مثابة الروح من الجسد»، وبـ«مثابة الماء والهواء»، جعل من الثقافة «مسألة حياتية» وشرطًا أساسيًا للوجود والبقاء والاستمرارية، وأي تهديد لهذا الكيان المرجعي أي «الثقافة» هو بمثابة تهديد وجودي للمجتمع. وصّف الخامنئي التهديد الوجودي بعبارات مختلفة، ومنها: «إغارة ثقافية، هجوم ثقافي، غزو ثقافي، إبـادة ثقافية، مجزرة ثقافية». مقابل تعدّد التوصيفات، رسا الخامنئي في تسميته للتهديد على مصطلحين محورين، أفرد تعريفًا خاصًا لكلٍّ منهما: الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة. قدّم الخامنئي التعريف للغزو الثقافيّ ضمن إطارين اثنين: الإطار الأول يرتبط بالأساليب التي

(١) المصدر نفسه، ص ٧٨.

يستخدمها العدوّ، موضّحًا أنّ «الشكل الأول للغزو الثقافيّ هو توسّل العدوّ بالأسباب الثقافيّة بعد فشله بالوسائل العسكرية والاقتصادية»، أما الإطار، فيرتبط بطبيعة الكيان المهدّد «الشكل الثاني للغزو الثقافيّ عبارة عن لجوء العدو لطرق خاصة بهدف الهجوم على أمّهات العقائد والأسس الثقافيّة في المجتمع، مما يجعلها متزلزلة في القلوب، والهجوم يطال مسائل الزهد والتقوى والاعتقاد بأصل ولاية الفقية»[١]. ومع بدايات العام ٢٠٠٩، بدأ السيد باستخدام مصطلح الحرب الناعمة، معرّفًا إيّاها بأنّها حرب نفسية يشنّها العدوّ لتحويل نقاط القوة والفرص إلى نقاط ضعف وتهديدات، وعبارة عن تضليل الشعوب بشعارات ظاهرها حقّ، ولكن محتواها باطل وفاسد وإثارة الغبار في الجوّ السياسي للبلد».

على خط مواز، حذّر الخامنئي من تداعيات الهجوم الثقافيّ غير المتصدّى له من جانب المسؤولين والشعب والجهات المعنية بالمفردات التالية: «خسارة فادحة، نزول المصائب، الانحطاط، دمار، زوال، سقوط حضاري، انهيار». اكتسب الخطاب الصبغة الأمنية باستخدام السيد الخامنئي المفردات الأمنية «تهديد، زوال، مخاطر»، الأمر الذي ساهم في تحريك عملية الأمننة والدعوة إلى اتخاذ تدابير للسيطرة على التهديد. دعا الخامنئي إلى التحرّك والتصدّي لحفظ الثقافة تحت عناوين: «الجهاد الفكري، الجهاد الثقافيّ، الدفاع المشروع، توجيه الضربة المعاكسة للعدو، التمسّك بالثقافة الوطنية، الاهتمام بالثقافة ووضعها أولوية».

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٣٧٣/٤/٢٢ هـ.ش .

٢- الكيان المرجعي المهدّد:

انطلاقًا من تعريف السيد الخامنئي للغزو الثقافيّ، يتبيّن أن الكيان المستهدف هو «الثقافة الحاكمة على ذهنية المجتمع الإيراني». يُحدّد السيد الخامنئي ماهية هذه الثقافة بثلاثة عناصر أساسية:

١- الثقافة الثورية ٢- المعتقدات الإسلاميّة ٣- المفاهيم الأخلاقية، وهي تُشكّل بحسبه عوامل ثبات الشعب الإيراني أمام نظام الهيمنة الاستكباري. يوضّح السيد الشبكة المفاهيمية المرتبطة بكلّ من هذه العناصر. نجد أنّ الثقافة الثورية تحوي مفاهيم «الجهاد، السعي، النضال، مواجهة الطاغوت»؛ أما العنصر المرتبط بالمعتقدات الإسلاميّة، فهو يشير إلى الشعارات، والعقيدة، والرموز الدينية، والتقوى، والزهد، والتوحيد، والاعتقاد بأصل ولاية الفقيه؛ أما بالنسبة إلى المفاهيم الأخلاقية، فقد قدّم أمثلة كالصبر، والتوكّل، القناعة، البصيرة...

وبدوره، يؤثّر تهديد الكيان المرجعي المتمثّل بالثقافة التي تشتمل على العناصر الثلاثة آنفة الذكر(الثقافة الثورية والمعتقدات الإسلاميّة والمفاهيم الأخلاقية) على العلاقة القائمة بين المجتمع [الشعب] والنظام، مما يؤدي إلى «تحريك الخلافات السياسية والفرقة بين قادة البلاد»، و«يبثّ التشاؤم والإحباط في نفوس الشعب والمسؤولين من الوصول إلى أهداف الثورة»، وكذلك «يثير الشكوك تجاه أصول النظام وشعاراته وتوجهاته».

٣- الفاعل المؤمنن:

كلّ خطاب يقدّمه المتكلّم يُساهم في تشكيل وبناء صورته الخاصة ethos، والتي تدخل بدورها ضمن الإجراءات اللّغوية المتضمّنة في فعل

التأثير، بحيث إن الصّورة المتشكلة في الخطاب تقود المخاطب إلى تصديق المتكلّم والتماهي معه. حضر السيد الخامنئي ذاتيًا في الخطاب في مواضع عديدة، تارةً للتعبير عن هواجسه وقلقه العميق في الميدان الثقافيّ، وفي ذلك خطوة للتّعبير عن مدى خطورة المسألة الثقافيّة كون شخص السيد الخامنئي يمتلك حجة السّلطة، والخطاب الصادر عنه خطاب سلطة يمتلك قوة إقناعية وتأثيرية في الجمهور. وتارةً أخرى، وظّفها لتعزيز مصداقية أقواله عبر التذكير بموقعيته ومكانته وارتباطه المباشر بالميدان الثقافيّ «أنـا الـذي يحمل العبء الأثقل من بين المسؤولين في نظام الجمهوريّة، أنا لست ممّن لا اطّلاع لديهم على المسائل الثقافيّة، وكذلك لم أكن بعيدًا، إنّي أرى هذه الساحة بشكل واضح، عايشت هواجس هذه الساحة بجدّية، لقد أعطيت الاهتمام للحدّ المشترك بين الجبهة الفكرية التنويرية والجبهة الفنّية، قد بذلت جهودًا وأتدخّل في تفاصيل المسائل»، مستدلًا بذلك على قصص عايشها مع أهل الثقافة والفنّ.

قابَلَ حضورَ الذّات في الخطاب وإبراز مكانتها أسلوبٌ خطابيٌّ يسعى إلى تعظيم موقعية المخاطَب ومنحه زمام المبادرة والعمل دون الإملاء عليه بأعمال محدّدة تتخّذ صفة الإلزامية: «لا يوجد لديّ اقتراح عملي، ولا تتوقّعوا منّي أن أجلس لأقدّمه لكم، أنتم من ينبغي عليه تقديم الاقتراح العملي والعمل به،... نريد منكم أن توضّحوا لنا وتبيّنوا لنا حقيقة ما يجب فعله»، فضلًا عن أنّ السيد الخامنئي حدّد دوره بالنسبة إلى القيّمين على القضايا الثقافيّة وهي: «الكشف والتصريح بالوقائع» شفاهيًا بلُغة الخطاب، معبترًا «أنّ في الاستماع أثرًا غير موجود في المعرفة».

٤- المخاطَب:

يتّسم خطاب السيد الخامنئي بالتفاعلية؛ لما يجريه من إجراءات اتصال مع المخاطب [الجمهور] تمظهرت بالتالي:

- توصيف الجمهور المستهدف بألقاب وتسميات سامية، عبّر عنها بـمفهوم «القلادة المعنوية»: «الثلاثمئة وثلاثة عشر شخصًا من بدريّي هذا العصر، أصحاب الحق». جاء هذا التوصيف، بحسب السيد الخامنئي، انطلاقًا من اعتقاده بالمسؤولية التي يتحلّون بها، وترجمه عمليًا في إطار التكليف وإشراك الجمهور عبء المسؤولية وثقلها في مواجهة التّحديات الثقافيّة «أريدكم اليوم أن تشعروا بثقل تكليفكم».

- التعبير عن العلاقة الوجدانية بينه وبين الجمهور «كلما انتاب قلبي شعور بالغربة، كنتم أنتم النور»، «اعلموا أني أدعو لكم تقريبًا كل ليلة»، «إنني مسرور جدًا لأنه تمّت إقامة جلسة كهذه»[١].

- الإفصاح أمام الجمهور عن مشاعره وهواجسه الخاصة، وحاجته لإشراك المخاطب بها.

- إشراك الجمهور في الحكم على بعض المواقف أو إثارة بعض التساؤلات لديهم «من هو المقصّر؟ نحن لسنا في مورد المحاكمة هنا، نحن لسنا قضاة، إنما نحن في الواقع نوصّف الوضع لنرى ما يجب فعله»، «هل من المناسب التجريح بآثارنا

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٣.

اتباعًا لعناصر جبهة العدو؟ لماذا؟ ما هو الداعي الذي يجعلنا ننفخ الهواء كيفما كان في النار التي أشعلوها، أو أن نوصل الماء إلى طاحونتهم؟»[١].

- تقديم بعض التوصيات التي تحدّد الإطار الأخلاقي والقيمي لأي خطة تساهم في مواجهة التحديات الثقافيّة

٥- الفعل الخطابي:

دراسة الفعل الخطابي تأتي على مستوى الكشف عن الإجراءات اللّغوية المتضمّنة في فعل التأثير، وقد أتينا على ذكر إجراءين وضّحناهما في الوحدات السابقة (إجـراء الاتصال مع المخاطب، إجـراء رسم صورة المتكلّم، ethos). ويبقى أن نوضّح إجراء تنظيم الخطاب عن الغزو الثقافيّ. نظّم السيد الخامنئي الخطاب وفق مسارين متكاملين:

١- مسار وصفي سردي:

يخوّل الآخر أن ينساق عفويًا نحو المحكي المقترح: يستشهد السيد الخامنئي كثيرًا بقصص من حياته لتقديم الحجة والبرهان على صحّة أقواله في معرض حديثه عن مواصفات جبهة العدو والجبهة الداخلية من المفكرين والفنانين؛ للكشف عن نقاط قوتهما وضعفهما، مستخدمًا أسلوب السرد الحيّ والمشوّق عبر توظيفه الجمل الإنشائية من استفهام وتعجّب...وإشراك الجمهور في التفكير وإثارة بعض التساؤلات لديهم: «هل يحق أن...؛ أي شخص يمكنه أن....؟ تصوّروا،... ماذا ستكون النتيجة؟

٢- مسار فعل المحاججة:

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٣.

يسعى المتكلّم إلى إقناع المخاطب بقضية ذات إشكالية، وصولًا إلى إحداث التأثير المؤدي إلى الفعل، بمعنى آخر الانطلاق من تفعيل الذهن إلى تفعيل العمل وتحقيقه. في معرض حديثه عن الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة، قدّم السيد الخامنئي المسألة على أنها قضية ذات إشكالية، يُنكر البعضُ وجودها. من هنا، كان فعل الحجاج حاضرًا في الخطاب عبر نشاط ثلاثي يبدأ من تعريف المخاطب بالإشكال، وتحديد الموقف منه، وبيان قوته الحجاجية.

تجلّت الحجاجية عبر الإجراءات التالية:

- **إجراء طرح الإشكال:** بيّن السيد الخامنئي أن الغزو الثقافيّ قضية ذات إشكالية؛ كونها لا تحظى بإيمان الجميع واعتقادهم بوجودها، «الحرب الناعمة حرب حقيقية في عالمنا المعاصر، رغم أنّ بعض الأشخاص ربما لا يرونها»[١]. من هنا، توجّه السيد الخامنئي إلى توضيح قضية الغزو الثقافيّ التي اصطلح على تسميتها لاحقًا بـ «الحرب الناعمة»، وذلك عبر تعريفها وتحديد أشكالها وتشخيص العدوّ، والكشف عن مخططاته، وربط وجود الهجوم الثقافيّ بسياق الصراع العالمي بين قوى الاستكبار والدول الساعية إلى الاستقلال بشكل عام، والصراع بين نظام الهيمنة الاستكباري ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة بشكل خاص، معتبرًا أنّ في بيان ذلك شكلًا من أشكال جعل المخاطب يعترف بوجود التهديد.

«... إنّي أرى وأشاهد الغزو أمام عيني، وعندما يتمّ توضيح ذلك، يسمع الجميع ويدركون أنّ ذلك صحيح»[٢].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٥.

(٢) المصدر نفسه.

- **إجراء تحديد الموقف:** بيّن السيد الخامنئي خطورة مخططات العدوّ على ثقافة الثورة والمعتقدات الإسلاميّة والقيم الأخلاقية التي تؤثر بدورها على نظام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، مبديًا قلقه ومعبّرًا عن هواجسه في الميدان الثقافيّ. فنّد نقاط القوة والضعف لكلّ من الجبهتين المتصارعتين: المشروع الإسلاميّ والمشروع الاستكباري، في إطـار معادلة أن النصر ملازم للمشروع الإسلاميّ استنادًا إلى السنن الإلهية.
- **إجراء التدليل:** تستمدّ الحجج قوّتها من ثلاث مسائل: صيغة الاستدلال - نمط المعرفة المتضمّنة - النمذجة التلفّظية.

في صيغة «الاسـتـدلال»، نجد أنّ السيد الخامنئيّ اعتمد على الاستدلال بالاستنباط القائم على روابط السببية التي تكشف أسباب لجوء العدوّ إلى الحرب الناعمة والغزو الثقافيّ:

«...لو كان بإمكان الأمريكيّين والبريطانيين والصهاينة إنزال عناصرهم إلى الشوارع بغية تحقيق مآربهم لفعلوا ذلك حتمًا، ولكنهم يعرفون أنّ ذلك يلحق الضرر بهم؛ ولذلك خاضوا الحرب السياسية والإعلامية لكي يتمكّنوا من حرف أذهـان الـرأي العام على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي»[١].

وكذلك اعتمد الاستدلال على المقايسة عبر التقريب بين الحاضر والماضي وإيجاد نوع من التماثل بينه الشواهد والوقائع:

---

(١) المصدر نفسه.

«يريدون الوصول إلى مآربهم من خلال هذه التحوّلات وبالنسبة لهم لا قيمة لهويّة الشعوب، للأسف! قد حدث مثل هذا الأمر في المئة وخمسين سنة الأخيرة في مختلف بلاد العالم... كانت التحوّلات الاجتماعية للدول الآسيوية والإفريقية واللاتينية الأمريكيّة بأيدي تلك العصابات الدولية المقتدرة وبتخطيط الصهاينة والرأسماليين الدوليين... قد روّجوا ثقافة الاستهلاك وعدم الاعتناء بالهويّة القومية والمباني الثقافيّة»[1].

أما فيما يخص «نمط المعرفة»، فقد ارتكز الخامنئي في توضيحه لطبيعة التهديد والجهة القائمة به على معرفة إدراكية حصّلها من خلال تجربته في الميدان السياسي والثقافيّ حدّد فيها طبيعة العدوّ وخصاله وآليات عمله، «لعل القليل منكم يعرف عن تلك الجماعة ما أعرفه أنا... أنا أعرف الكثير عن أجنحتهم المختلفة... لقد شاهدتهم عن قرب،...»، «وكذلك من خلال تتّبعه ما يصدر من جبهة العدوّ (منابره الإعلامية ونخبه) تكشف مخططاته وعدائه لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة. ومن جهة أخرى، استند السيد الخامنئي في حديثه عن آليات المواجهة ومآلات الصراع استنادًا إلى معرفة اعتقادية مرتكزة على منطق المقاومة الذي أرساه السيد الخميني القائم على مبادئ القرآن والوعد الإلهي. يحسم السيد الخامنئي نهاية الصراع بهزيمة العدوّ انطلاقًا من السُنّة الإلهية بأنّه «سيخيب العدو بالتأكيد، والسبب «إنّ كيد الشيطان كان ضعيفًا»، ولكنها حقيقة مقرونة لزامًا ووجوبًا باليقظة وعدم الغفلة والتّصدي للعدو والدفاع عن الإسلام.

ويقصد بالـ «النّمذجة التلفّظية»، التّعبير عن الفكرة بأسلوب غير ابتدائي خبري، بل اللّجوء إلى صيغ أدبية متنوّعة، تارة يدعو المخاطب

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٩.

إلى التأمل بعد سرده قصصًا من ذاكرته «تأمّلوا معي كيف جعلت كلمة واحدة من السيد متعلّقة بحكم شرعي، لا يمكن إغفاله عن حجاب المرأة، الكثيرين يبتعدون عنّا». «تصوّروا أن يقع قادة الجبهة في الشك، فيتساءلون: هل النظام ملتزم بادّعاءاته أم لا»، ما الذي كان سيحصل في الحرب؟ لقد حصل هذا الأمر، وان لم يكن بهذا الهول في ميدان الفكر والأدب والفن والثقافة». وتارة أخرى، يستخدم أسلوب الاستفهام عبر سلسلة من التساؤلات عند انتقاله من موضوع لموضوع والتمهيد له «كيف يمكن لصاحب اللسان الطلق والقلب النيّر والذهن الفعّال مواجهة الغزو الثقافيّ؟» ليقدّم الاجابة فورًا بعد طرح السؤال؛ «الآن، ما هو الغزو الثقافيّ؟»، وفي أحيان أخرى، يعتمد أسلوب النفي ليؤكّد بعده أمرًا ما: «أنا لا أقول أن تجعلوا مخاطبيكم من الجبهة الموافقة فقط، فليكن مخاطبوكم من كافة البشر»... «أنا لا أقول أن تأتوا بعدد من أفراد حزب الله المؤمنين، ثم تتحدّثوا معهم وتتركوهم، وعلى الباقين أن يتدبّروا أمرهم، لا، بل حافظوا على مميّزاتكم في نداءاتكم ودعوا مخاطبيكم يتذوّقون هذا الطعم، كما كان يفعل الأنبياء، وإلا لو أقمنا حائطًا بأنفسنا حول أنفسنا، فالويل ثم الويل!»

مأسسة الأمننة:

كما ذكرنا سابقًا، أن اهتمام السيد الخامنئي وبيان الحقائق حول الغزو الثقافيّ في خطاباته بدأ منذ بدايات استلامه القيادة، واستمرّ حتى يومنا هذا في إطار خطابات دورية يلتقي فيها مع الأطر المؤسساتية، تطوّر الخطاب من أمننة الغزو الثقافيّ الداعي إلى التحرك والتصدّي والدفاع إلى خطاب يمأسس الأمننة على مستويات عدّة تباعًا:

- التحوّل من خطاب الطوارئ والمخاطر إلى خطاب إداري للتحديات: أدرج السيد الخامنئي الغزو الثقافيّ في أجندة المؤسسات الثقافيّة والإعلامية وقدّم لها أطروحة « الإدارة الإستراتيجية» لإدارة التحديات الثقافيّة التي غلب عليها مفاهيم تنظيمية خاصة بالعمل المؤسساتي «البرمجة والتخطيط والاشراف والتوجيه...».
- تخصيص خطابات الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة إلى الأطر المؤسساتية من مؤسسات ووزارات إعلامية وثقافية وفنية منوطة بالقيام بإدارة التحديات وفق رؤية تخطيطية.

٢. نموذج «استراتيجية الأمن الثقافيّ» وفق رؤية السيد علي الخامنئي

بعد تبيان آليات وأساليب السيد الخامنئي في أمننة القضية الثقافيّة وتقديمها كرهان أمني وشـرط أسـاس في تحقيق المشروع الأساسي للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة المُتمثّل ببناء الحضارة الإسلاميّة، ننتقل في هذا القسم إلى بناء نموذج «استراتيجية الأمن الثقافيّ»، وفق رؤيته، عبر تحليل مضمون تصريحاته الواردة في كتب «سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي»، إضافة إلى كتب أخرى تبيّن رؤيته في مواجهة الحرب الناعمة والغزو الثقافيّ. اتّبعنا في عملية تحليل المضمون المنهجية التّالية:

- تفكيك المحتوى في محاولة لاستخراج المفاهيم الخاصة باستراتيجية الأمن الثقافيّ.
- تنظيم المفاهيم وإعادة ترتيبها ضمن فئات كبرى.
- تحليل وتحديد العلاقات بين الفئات.

ولا بدّ من الإشـارة إلى أنّنا لم نلحظ البحث الكمّي في تحليل المضمون، لأنّ ما يهمّنا هو بناء الخارطة المفاهيمية المرتبطة باستراتيجية الأمن الثقافيّ، وبالتالي مؤشر تكرار المصطلحات والمفاهيم لا يقدّم لنا أي إفادة علمية في الإجابة على إشكالية بحثنا.

تقوم استراتيجية الأمن الثقافيّ وفق رؤية السيد علي الخامنئي على الأسس التالية:

١- عقيدة الأمن الثقافيّ:

تعرّف **العقيدة الأمنية** بأنها «مجموع الآراء، والاعتقادات، والمبادئ التي تشكّل في مجملها نظامًا فكريًا لمسألة الأمن في الدولة، وكونها أداةً تقوم الدولة من خلالها بتعريف التهديدات والتحديات والمخاطر»[١]. وتشكّل العقيدة الأمنية أساس الإستراتيجية الأمنية، وإحدى أهم مقوّماتها، وتعود جذورها بشكل حيوي بجذور إلى عوامل تاريخية وثقافية خاصة بالدولة.

وربطًا بموضوع بحثنا عن «الأمن الثقافيّ»، تقوم العقيدة الأمنية في هذا المجال على أساس ثقافي مرتبط بثقافة الاسلام المحمدي الأصيل، والهويّة الأصيلة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، من خلالها تتبلور حدود الأمن الثقافيّ وأصوله ومبادئه، فضلًا عن توضيح أشكال التهديد وطبيعته ومصادره.

وُلد مفهوم «الأمن الثقافيّ» في خطاب السيد الخامنئي كاستجابة للتهديد المتربّص بثقافة الثورة وثقافة الإسلام، والذي اصطلح عليه بـ

(١) نقلًا عن: السعيد، حجازي محمد، «الإستراتيجية الأمنية في الدراسات الدولية: إطار نظري ومفاهيمي»، ص ١٨.

«الغزو الثقافيّ» و«الحرب الناعمة». واذا ما أردنا تفكيك مفهوم «الأمن الثقافيّ» فلسفيًا، قد نجد أنه يحوي ضُمنًا جدلية الانفتاح والانغلاق، كون «الثقافة تشير إلى الانفتاح والإبداع والتفاعل، في حين تُحيل لفظة الأمن إلى الدفاع وتجانس الإنكماش والتقوقع»[١].

استدرك السيد الخامنئي هذه الإشكالية محاولًا تقديم حل وسطيّ يوائم بين التمسّك بالهويّة وبين الانفتاح اللّامشروط، وذلك عبر طرح مفهوم وسطي اصطلح عليه بـ«التبادل الثقافيّ»، هو مفهوم متعارف عليه عند الباحثين في علوم الاجتماع بمصطلح «المثاقفة التلقائية» التي تندرج في إطار الاتصالات السلمية بين الشعوب، والتي تكون عفوية وتلقائية، غير موجّهة أو خاضعة للرقابة.

ميّز الخامنئي مصطلح التبادل الثقافيّ عن «الغزو الثقافيّ». يعتبر السيد الخامنئي أن التبادل الثقافيّ هو فعل اختياري يقوم على انتقاء الميزات والحسنات في ثقافة الآخر من أجل ترميم الثقافة وتكميلها، وتحقيقه مرهون حينما تكون الأمة قوية وقادرة. أما الغزو الثقافيّ، فهو فعل العدو ليجتث جذور ثقافة شعب ما واستبدالها بثقافة غير صالحة له، وهذا غالبًا ما يتحقق حينما تكون الأمة ضعيفة[٢]. وفقًا لهذه المقارنة، يُحيلنا التبادل الثقافيّ إلى مفهوم آخر يُشكل الشرط الأساس لتحقّقه، عبّر عنه بمفهوم «صيانة الذات» على مستوى الأذهان والقلوب كنوع من التحصين والوقاية المسبقة[٣]. وفي قراءة لخطابات عديدة، يمكننا ربط المفهوم بمصطلحين آخرين يُكسبان الذات بُعدًا تفاعليًا متينًا.

---

(١) عبد الإله بلقزيز، «في مفهوم الأمن الثقافيّ».

(٢) **موانع التنمية الثقافيّة**، سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي، ج ٤، ص ٦٩ - ٧٤.

(٣) ورد مصطلح «صيانة الذات» في كلمة له في حسينية السيد الخميني، ١٩٩٩/٥/١٨.

المفهوم الأول يُدعى بـ «المرونة مقابل التحجر»، حيث يدعو إلى استقراء متطلبات العصر بمرونة وفق الأحكام الإسلاميّة التي هي بطبيعتها مرنة وغير متحجّرة[١]. أما المفهوم الثاني، فيُشير إلى وعي الذات لذاتها ولأحكامها والتمسّك بها وفق أسس منطقية تحت عنوان: «الأصولية أي الاستقامة والالتزام بالأصول المنطقية».

«صيانة الذات - الأمن الثقافيّ - التبادل الثقافيّ» وما يتفرّع منها من مفاهيم مقابل «الغزو الثقافيّ» «والتبعية الثقافيّة» تعبّر عن شبكة مفاهيمية مترابطة ومتفاعلة فيما بينها، تمثّل معادلة الأمن في القضية الثقافيّة التي إن سجّل فيها أي خلل بين عناصرها، استطاع العدوّ النفاذ والتسلّل لإحداث الخرق الثقافيّ. وإذا أردنا تمثيل المعادلة وفق المنطق الرياضي، يشترط تحقيق الأمن الثقافي أن يكون هناك توازن بين صيانة الذات والتبادل الثقافي على الشكل التالي:

الأمن الثقافيّ = صيانة الذات / التبادل الثقافيّ = ١

التحجر الثقافيّ = الانغلاق على الذات > التبادل الثقافيّ

الغزو الثقافيّ = التبادل الثقافيّ > صيانة الذات

٢- الأهداف الثقافيّة الكبرى:

في مجمل خطابات السيد الخامنئي العامّة، وخاصة تلك التي يناقش فيها الهواجس الثقافيّة وضرورة التصدّي لتهديدات العدوّ، غالبًا ما يذكّر بالهدف الإستراتيجي الذي يسعى اليه نظام الجمهوريّة الإسلاميّة بكل مؤسساته وموارده وطاقاته، والهدف هو «تحقيق الحضارة الإسلاميّة»، وهي المرحلة

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٧/٦/٤.

الخامسة والأخيرة من مراحل تحقيق أهداف الثورة الإسلاميّة[١]. ويرى أن هذا الهدف يتحقق عمليًا بعد ضمان الانتقال من مرحلة بناء الدولة الإسلاميّة إلى بناء «المجتمع الإسلاميّ» وتأمين الحياة الطيّبة له[٢]. وفي خطابه بذكرى أربعين الثورة في العام ٢٠١٩، أعلن دخول الجيل معترك العملية الكبرى «عملية بناء الذات والمجتمع وصنع الحضارة».

يعتبر السيد الخامنئي أن مساعي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة نحو إيجاد الحضارة الإسلاميّة يتطلّب توفر ثلاثة عناصر أساسية:

الأول: إبداع الفكر وفق متطلبات العصر (٢٠٠٠/١٠/٦).

الثاني: التربية الروحية الإيمانية وصناعة الانسان (٢٠٠٠/١٠/٦).

الثالث: اجتناب تقليد الغرب (٢٠١٢/١٠/١٤).

ولما كان بناء الحضارة، وفق السيد الخامنئي، لا يقوم حصرًا على ركن التطور العلمي والتقني إنما يشمل بالضرورة ركني الثقافة والأخلاق. من هنا يتبيّن لنا أهمية تحقيق «الأمن الثقافيّ» كشرط أساس وبنيوي في تمتين دعائم الحضارة الإسلاميّة، وأي تهديد للثقافة هو تهديد للمشروع الحضاري بأكمله.

ولطالما أكّد السيد الخامنئي على إلزامية إنتاج نموذج تقدّم إسلاميّ كشرط لتحقيق الحضارة الإسلاميّة، وانطلاقًا من رؤيته لمعنى الحضارة الإسلاميّة

---

(١) بحسب السيد علي الخامنئي، إن المراحل الخمس لتحقيق أهداف الثورة الإسلاميّة هي: ١- تكوّن الثورة الإسلاميّة، ٢- مرحلة تأسيس النظام الإسلاميّ، ٣- تأسيس الدولة الإسلاميّة، ٤- بناء المجتمع الإسلاميّ، ٥- تحقيق الحضارة الإسلاميّة.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٥.

في هذا الصدد باعتبارها «تأثر الشعوب فكريًا بالاسلام»، يتحوّل أمن الجمهوريّة الإسلاميّة الايراني الثقافيّ رهانًا أمنيًا يؤثر على أمن الأمة الإسلاميّة الإستراتيجي.

«... الناس ينظرون للاسلام من زاويتنا ويشاهدون حقائق الإسلام عن طريقنا وأخطاؤنا تسجّل باسم الإسلام ولا سمح الله فإنّ فشل المسلمين سيسجّل باسم الإسلام، سيقولون ان الإسلام فشل ولا يقولون إن عددًا من الناس لم يفهموا الإسلام بشكل صحيح ولم يعملوا به بشكل صحيح، هم الذين أخفقوا وفشلوا»[١].

«... أن بذرة الأمل التي نثرت في قلوب الشعوب وزرعت وسُقيت ونمت وأثمرت كانت ناشئة من ثبات شعب إيران، لو أن شعب إيران تراجع، لو أننا تخيّلنا عن شعاراتنا لو أننا انحنينا أمام تهديدات الاستكبار العالمي وتهويلاته وضغوطاته لكانت ورود الأمل هذه والتي نمت وترعرعت في قلوب الشعوب قد ذوت وماتت»[٢].

٣- تشخيص العدوّ:

شخّص السيد الخامنئي «جبهة الاستكبار التي تشمل الصهيونية وأمريكا وشركات النفط وأقـلام المأجورين والمفكرين الذين يعملون في خدمتهم» (١٩٩٥/٨/١٥)، بوصفها «العدوّ الخارجي» للإسلام ولنظام الجمهوريّة الإسلاميّة، موضحًا بأن مفردة الخارجي لا تعني بالضرورة خارج حدود ايران الجغرافية، إنما خارج النظام وإن كانوا من داخل البلاد. بالنسبة للسيد الخامنئي، لا تشكّل جبهة الاستكبار وحدها الخطر على

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩١/٨/١٤.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٥.

الاسلام وعلى نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، إنما سلّط الضوء على نوع آخر من العدوّ وهـو العدوّ الداخلي، الـذي يشير بحسب أدبياته إلى «الاضمحلال الداخلي»، أي إلى مجموع الآفـات والأمـراض النفسية والخصال المذمومة التي قد تصاب بها الجبهة الداخلية.

٤- مستويات الخطر وطبيعة التهديد:

مستوى الخطر	طبيعة التهديد
خطر داخلي	التحجر الفكري - اليأس - التردد - إثـارة العصبيات القومية والعرقية - التغرّب وتقليد الثقافة الغربية. ضعف الجبهة الثقافيّة: حدد مجموعة عوامل، يمكن حصرها في التالي: انبهار العناصر أمام شخصيات العدو - التشكيك بأسس النظام وأهدافه - الانجرار نحو النزاعات الحزبية، وإقـحـام الصراعات السياسية في الأعمال الثقافيّة، الإغـفـال عن الطاقات الشبابية الجديدة، التعلق بالدنيا ومظاهرها الخدّاعة.
خطر خارجي	محو ثقافة وقيم الإسلام، شق وحدة صفوف المسلمين، إشاعة الفساد والفحشاء، تحطيم روح المقاومة، توهين ثقافة الشعوب وبث اليأس فيها

٥- الإدارة الجهادية الإستراتيجية للتحديات الثقافيّة:

طرح السيد الخامنئي في عدّة خطابات مسألة «الإدارة الإستراتيجية» كخطّة عمل ومنهج لمواجهة التحديات الثقافيّة، وفي مواضع أخرى أطلق توصيف «الجهادية» على طريقة وأسلوب الإدارة كخاصية أساسية أفرزتها الثورة الإسلاميّة.

تعريف الإدارة الإستراتيجية: عرّف الإدارة الإستراتيجية للتحدّيات في المجال الثقافيّ بـ «الاستخدام الأمثل والكفوء والمتعاضد لكل الفرص والإمكانيات»، و«إحباط التهديدات ومعالجة الآفات بنظرة حكيمة ومعقولة»، و«المواجهة الواعية لمعارضات المهاجمين والعدوانيين»[١]. وهي برأيه مستلهمة من الإيمان الإسلاميّ والاعتقاد بمبدأ «نحن قادرون» الذي علّمه قائد الثورة الإسلاميّة السيد روح الله الخميني[٢].

وإن كان تعريف السيد الخامنئي للإدارة الإستراتيجية تعريفًا علميًا يشابه كثيرًا منطق التحليل الرباعي المعروف بـswot، إلا أنّه نظرًا لكونه يهتمّ بتوليد مفاهيم وصياغات اصطلاحية خاصة بالثورة الإسلاميّة، لحظ في خطاباته تبيان المائز الأساسي في أسلوب الإدارة في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. يتمثّل المائز بأنّ الثورة أفرزت أجهزة مؤسّساتية تنطوي في ذاتها على «الروحية الجهادية» المرتبطة بمفاهيم الحركة والتدفق الثوري السريع، وهي مفاهيم وإن كانت قد تتعارض مع الاتجاه الكلاسيكي في الإدارة المتمثل بالنظم والهيكلية والثبات والجمود، إلا

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١٨.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٩/٠٢/١٤.

أنها بحسب رؤية السيد الخامنئي لا تتعارض مع العمل العلمي والنظم الإداري، بل تجعل العمل العلمي ذا روحية جهادية.

مفهوم الجهاد عند السيد الخامنئي وتطبيقاته في الإدارة: يتحدّث السيد الخامنئي عن فعل الجهاد باعتباره «ثقافة إسلاميّة»[١]. يعرّف الجهاد بأنه «الكفاح أي السعي الحثيث من أجل تخطي عقبة أو مواجهة عـدو»[٢]، وهو فعلٌ له شروط خاصة، ما إن توفّرت يطلق عليه جهادًا، يحدّد السيد الخامنئي هذه الشروط بأمرين أساسيين: الأمر الأول أن يتخلّل الفعل الجدّ والجهد[٣]، وأن يكون نشاطًا متواصلًا وشاملًا نابعًا من وعي وإخلاص[٤]، أما الأمر الثاني فهو أن يكون الفعل تصدّيًا للعدو، إمّا في ساحة الحرب المسلحة، فيطلق عليه جهادًا عسكريًا، وإما يكون في ميدان السياسة ويدعى جهادًا سياسيًّا، وإمّا يكون في ميدان الشؤون الثقافيّة ويدعى جهادًا ثقافيًا[٥].

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٣٠.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٤/١١/١٠.
(٣) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/٦/٩.
(٤) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٨/١٧.
(٥) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/٦/٩.

أ - نموذج الإدارة الجهادية الإستراتيجيّة

أصول ومبادئ «الإدارة الجهادية»	نموذج الإدارة الإستراتيجية للتحديات الثقافيّة وفق رؤية السيد علي الخامنئي			العناصر المسؤولة في تحقيق الأمن الثقافيّ
		الإمكانيات	الآفات	
١- اليقظة والتدبير ٢- البصيرة ٣- انتهاج سياسة العقلانية ٤- التخطيط الشامل ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٦- تعدّد أبعاد العمل الثقافيّ بلحاظ أبعاد الإنسان ٧- التمسك بالثقافة الوطنية ٨- السعي لجذب الحدّ الأقصى وهداية الجميع ٩- حفظ صحة وأخلاقيات الأساليب الثقافيّة ١٠- منح الثقافة الطابع القيمي ١١- تعزيز العزيمة الوطنية ١٢- الدعاء والتوجه إلى المسائل المعنوية ١٣- التمسك بأهل البيت	الفرص	- الاستخدام الأمثل والكفوء والمتعاضد لكل الفرص والإمكانيات - إعادة تشكيل ومضاعفة كل الإمكانيات الصلبة والبرمجية والطاقات الإنسانية في المجال الثقافيّ - زيادة عناصر القوة في النظام - تصدير الثورة الإسلاميّة وقيمها في عالم يعيش صحوة إسلاميّة - نشر الأمل بين المستضعفين ورافضي الاستكبار - ترسيخ الدوافع الإسلاميّة في شعوب العالم المتعطشة للإسلام عبر العلم والتحقيق الفكري - إيجاد علاقات ثقافية متبادلة بين الثورة الإسلاميّة وخارجها	- صناعة النموذج المؤمن والمخلص والصادق والصحي - الإبداع والابتكار وعدم تقليد الغرب - معالجة الآفات بنظرة حكيمة ومعقولة - التخطيط والتبليغ من أجل صناعة رأي عام وبيان معالم الطريق	١- المؤسسات الإعلامية ٢- الجبهة التنويرية من النخب السياسية والدينية والثقافيّة والكتّاب ٣- الجبهة الفنية من الشعراء والفنانين ٤- الأساتذة والتربويون ٥- الطلاب الجامعيون ٦- المجاميع الشعبية

أصول ومبادئ «الإدارة الجهادية»	نموذج الإدارة الإستراتيجية للتحديات الثقافيّة وفق رؤية السيد علي الخامنئي		العناصر المسؤولة في تحقيق الأمن الثقافيّ
١٤- ايجاد النظم والمحتوى الثوري ١٥- التعامل بشكل فاعل وإبداعي مع الاصطفافات الثقافيّة ١٦- تنمية الإيجابيات الثقافيّة ومعارضة العراقيل الثقافيّة ١٧- الوحدة والانسجام ١٨- الزهد الإسلاميّ ١٩- بناء إدارة مفعمة بالمحبة والعاطفة والتلاحم الجماهيري ٢٠- عدم تقليد الغرب واللجوء إلى الإبداع والابتكار.	التهديدات	- إحباط التّهديدات - توجيه ضربة معاكسة للعدو - امتلاك أرصدة معنوية وثروات عظيمة تمكننا من الدفاع ومواجهة الأعداء - القدرة على تحقيق الردع	- مواجهة التحجر الفكري - تبيين الحقائق وكشف أكاذيب العدوّ - المواجهة الواعية لمعارضات المهاجمين والعدوانيين - الترويج لروحية الجهاد - تعزيز الثقة بالنفس والقضاء على الانهزامية - بث الأمل - الحفاظ على الوحدة الإسلاميّة - عدم الانفعال أمام العدو - ضرورة التخطيط الشامل - ضرورة الدفاع الشامل	

ب - استراتيجيات «الجهاد الثقافيّ»:

ب - ١. الإستراتيجية الأمنية الوقائية «تحضير الترياق»:

قـدّم السيد الخامنئي عدة تعريفات موازية لمفهوم «الوقاية» من مخططات العدوّ، نجد على سبيل المثال: تحضير الترياق[١]، توفير الصيانة والمناعة من الأعـداء[٢]. وهذه العملية بحسبه قادرة على رفع مقدار الوعي والثقافة والإيمان والمناعة الأخلاقية لدى المجتمع، فضلًا عن كشف أساليب ومخططات العدوّ في الحرب الناعمة، والتي بدورها تشكّل ما يطلق عليه منظّر القوة الناعمة الأمريكيّ جوزيف ناي بـ«المصافي الثقافيّة».

حدّد السيد الخامنئي مجموعة إجراءات لتحصين المجتمع من الغزو الثقافيّ، يمكن حصرها في التالي:

- **معرفة الماضي:** استلهام الـدروس والعبر من التجارب، وإذا حصلت غفلة عن هذه الإستراتيجية، فستحل الأكاذيب محل الحقيقة، وسيتعرّض المستقبل لتهديدات مجهولة.
- **جهاد التبيين:** التبيين والتنوير والتعبير المنطقي والمستدل بعيدًا عن الجلبة، صناعة خطاب يوجد فكرًا ومطالبة عند الرأي العام، اتّباع نهج أخلاقي بعيدًا عن السباب والافتراء والكذب، نشر الحقائق بمنطق قوي وخطاب متين وعقلانية تامّة، مع تزيينه بالعاطفة والمشاعر الإنسانية وتطبيق الأخلاق.

---

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٩.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١٣.

- **تقوية البنى الثقافيّة وتحصينها[١].**
- **تقويم الوضع الثقافيّ الحالي عبر تحديد نقاط القوة والعمل على تعزيزها، وكشف نقاط الضعف والعمل على سدّها:**

تعزيز نقاط القوة في الجبهة الداخلية الثقافيّة	قوة الإسلام والارتكاز عليه - الثقافة العميقة والتاريخ العريق - غنى اللغة ونقل ثقافة الثورة - الرشد الأخلاقي الإسلاميّ محط جذب لشعوب العالم - روحية الثقة بالنفس - تخلص البلد من الثقافة الغربية المنحطة - الجرأة على مواجهة الثقافة الغربية - انتشار الثقافة الإسلاميّة والمعتقدات الدينية - الالتزام بمبادئ الثورة وقيمها - الصحوة الإسلاميّة - الروحية الجهادية - رواج ثقافة القرآن - ازدياد الوعي - تحقيق نفوذ وسمعة دولية - القدرة على انتاج أفلام عالية الجودة - الخروج من التبعية - الحضور الجماهيري في الساحة
سدّ مواطن الضعف في الجبهة الداخلية	التخلف الثقافيّ مقارنة بباقي المجالات - مظلومية الثقافة في البلاد - تراجع الروحية الثورية مع تقدم الزمن - ضعف الاستفادة من الفن الثوري - الغفلة والترهل بسبب تقصير المسؤولين - غياب العمل الجماعي - تدبير الدنيا بعيدًا عن الدين - تمييع المسؤوليات - عدم تناسب الإنتاج الثقافيّ مع المتطلبات الثقافيّة - تقليد الغرب

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٢/٠٥/٢٨.

ب - ٢. الإستراتيجية الأمنية الاستباقية «اليقظة والتدبير»:

«... في الحرب العسكرية إذا استطعت أن تتوقع ما هي خطة العدو، فسوف تستطيع مواجهتها والوقاية منها، وسوف تستعدّ لها، فتدافع بشكل جيد أو تشن هجومًا استباقيًا. هكذا هو الحال في الحرب العسكرية، وكذا الحال في الحرب الإعلامية والتبليغية»[١].

عبّر السيد الخامنئي عن الأمن الاستباقي بمفهوم «اليقظة والتدبير»، معرّفًا إيّـاه بـ«أنّها معرفة مخططات العدو، والكشف عنها، واتخاذ القرارات الصحيحة في الزمان المقتضي في مواجهة تحركات ومخططات العدو»[٢]. كما يرى الخامنئي أنّ تحقيق الأمن الاستباقي يستوجب اتباع الخطوات التالية:

- الرصد المبكر لمواقف العدو وإشاراته وتحركاته[٣].
- الاستشراف: التكهّن بالمتغيرات المستقبلية التي ستطرأ على الساحة[٤]، إضافة إلى توقّع فرص وسيناريوهات واحتمالات قيام العدو بتوظيف أي خطوة أو ثغرة في تحركات [المحور] أو مواقفه.

وعليه، يكون التحرّك وفق السيد الخامنئي باتّجاهين: إما الاستعداد الجيد للدّفاع، أو المبادرة إلى هجوم استباقي لإحباط مخطط العدوّ.

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٢٧.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/٠٣/٢٢.
(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٥.
(٤) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٣٠.

ب - ٣. إستراتيجية الردع الإستراتيجي «الاقتدار الداخلي»:

«... حينما يصل العدو إلى اليأس وتصبح أحلامه بالفوز وإلحاق الضرر بإيران بمستوى يعادل الصفر»[١].

«... يجب أن نصل إلى مرحلة يستطيع الشعب تقديم نفسه بنحو يصرف العدوّ عن التطاول عليه في المجالات كافة، ويرى العدو أنّه لا فائدة من التطاول عليه ولا يمكنه فعل شيء معه»[٢].

بعد تتبّع عدة خطابات له، يمكن استخلاص شروط الردع بالتالي:

- العمل (قيادة وشعبًا) بشروط المتانة والقوة الداخلية والعزيمة الحاسمة على الدفاع المشروع والمنطقي[٣].
- انتهاج سياسة العقلانية، أي النهج الناشئ عن عملية فكرية ورؤية دقيقة للوضع السائد والموجود في العالم، يسعى إلى إحداث تحوّلات عظيمة. وكانت الثورة الإسلاميّة إحدى تجليات هذه السياسة، وهي تختلف عن النهج المحافظ الذي يؤيد الوضع القائم ويخشى كل تغيير[٤].
- الإبـداع والابتكار: تفادي تقليد الجبهة المخالفة في الإنتاج الثقافيّ، والسعي إلى ابتكار أساليب وعوامل جذب في الخطاب.
- تمتين دعائم البلاد اقتصاديًا وتعزيز القدرة على تخريج فنّانين ونخب في البلاد وفق المصالح الوطنية[٥].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٢٦.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٩/٦/٤.
(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٣/٠٨/٦.
(٤) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٣٠.
(٥) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/٧/٢٦.

- تقوية العلم وتفتّح الاستعدادات والطاقات المحلية والشبابية في الفروع المختلفة: العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية.

٦- آفاق إستراتيجية | أولويات إستراتيجية:

أفاق تساعد في تعزيز قوة الردع في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة:

- تقوية التكنولوجيا.
- الريادة في إنتاج العلم.
- التمكّن من فنون العصر.
- تنمية الإعلام الإسلاميّ: رفع كفاءة الإعلام الإسلاميّ والإعلاميين والفنانين الإسلاميّين وتطبيق إستراتيجية تسعى إلى «ضرب أهـداف العدو وخططه، وتثبيت أسـس الإرتـكـاز المعنوي والنفسي لدى الناس، والحفاظ على الكيان الفكري والهويّة الإسلاميّة»[١].
- صناعة النموذج الإسلاميّ للحياة الطيبة.
- تأصيل العلوم الإنسانية.
- الاقتدار الاقتصادي: لطالما كانت تقوية دعائم الاقتصاد من شروط الردّع، يصبح الاقتدار الاقتصادي أولوية تساهم في تعزيز ثقة الشعب بالنظام وبالدين الإسلاميّ.

(١) **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، مركز قيم للدراسات، ص ١٢٦.

وبناء على ما تقدّم، يتّشكل نموذج لإستراتيجية الأمن الثقافيّ على النّحو التالي:

نموذج إستراتيجية الأمن الثقافيّ وفق رؤية السيد علي الخامنئي
إعداد وتصميم الباحثة ليلى زغيب

٣. نحو أمن ثقافي مركّب؟

تكمن أهمية بلوغ الآفاق الإستراتيجية في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في تحقيق مشروع بناء الحضارة الإسلاميّة، والسعي نحو انتشارها تدريجيًا في أوساط «المجتمع الإنساني» حتى تبلغ صورتها الأكمل في عصر ظهور الإمام المهدي [عجل الله تعالى فرجه] على نحو تستطيع فيه تقديم علاج لآلام البشرية، وحمل رسالة تحاكي القلوب والأفئدة بلغة تفهمها الأجيال الحديثة، وذلك انطلاقًا من رؤية اجتماعية قائمة على منظومة فكرية وعملية جديدة واحدة، على حدّ تعبير السيد الخامنئي[١].

ينطلق السيد الخامنئي في تلزيم الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بمشروع بناء الحضارة الإسلاميّة من جملة مقوّمات تؤهّلها لأن تتبوّأ هذا الدور الأممي. أولى هذه المقومات تتمثّل بكون إيران تُعدّ «التجربة الإسلاميّة الأنجح في العصر الحديث على صعيد إعادة الثقة بالنفس إلى الجماهير وإعادة الثقة إلى النخب بالجماهير، وعلى صعيد رفض أسطورة القوة التي لا تقهر للأنظمة الطاغوتية وأسيادها، وفي ساحة كسر غرور الشيوعية»، ثانيها أنّها تعتبر «النموذج الفاعل للتطورات الكبرى في البلاد مع حفظ سيادة الشعب والدفاع عن القيم الأساسية»[٢]. كما يستند الخامنئي في رؤيته الإستراتيجية لدور الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على ما عاينه من تأثير للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة على الشعوب الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، حيث كان أهمّها «تنامي الاعتقاد الديني والإيمان الروحي عالميًا في أوساط المجتمعات التي قضت عشرات السنوات في أجواء ملؤها العداء للدين»، إضافة إلى مؤشر آخر يرتبط بالصحوة الإسلاميّة

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٣٠.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١٢/٢/٣.

في عدد من الدول العربية التي قرأها الغرب تهديدًا كبيرًا لمصالحه في العالم الإسلاميّ[١].

وفي سياق متصل، يقدّم السيد الخامنئي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بوصفها نموذجًا تحرّريًا مُلهمًا يمنح الأمل للشعوب المستضعفة بإمكانية تغيير واقعها، ويعزّز الثقة بقدرتها على مقارعة الاستكبار، وهذا النموذج تزيد فرص انتشاره أكثر فأكثر في سياق عالمي يشهد أفول للحضارة الغربية وانحلال قواها وفشل مشاريعها ومخططاتها في المنطقة مقابل تشكّل عهد عالمي جديد أطلق شرارته السيد الخميني بانتصار ثورته الإسلاميّة على نظام الشاه. يتّسم هذا العهد بحسب الخامنئي باتساع رقعة المعتقدات الدينية على الصعيد العالمي واستعادة الدين والإيمان الروحي في المجتمعات بعد تغييبه من قبل السياسات السلطوية المحلية والدولية، إضافة إلى تكريس إرادة الشعوب وبيان فاعليتها في قلب الأنظمة الاستبدادية، فضلًا عن ترسيخ نهج التحرر من هيمنة وسيطرة القوى العظمى[٢]. بيّن السيد الخامنئي تأثير نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة خارج حدود إيران تحت عنوان «تصدير الثورة»، مفكّكًا ادّعاءات العدوّ حول المفهوم الذي يربطه بالهيمنة، ومحاولًا إعادة تصويب المفهوم عبر تقديم التعريف الحقيقي له من موقعين: تارة من موقع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وتارة أخرى من موقع الشعوب، فتصدير الثورة من موقع الجمهوريّة الإسلاميّة يعني «تصدير ثقافة الإسلام في صناعة الانسان والاعتماد على القيم الإنسانية والإصرار عليها»، أما تعريف المفهوم من جهة الشعوب يعني «أن تنظر الشعوب إلى تجربة

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٦.

(٢) مقتطف من كلمته (غير موثق تاريخها) في كتاب **العهد العالمي الجديد**، ص ٢٨ - ٣٠.

أمة استطاعت أن تنهض بالاتكال على الله والاعتماد على نفسها وأن تقف على قدميها ولا تستسلم»[١].

«... يريدون أن لا يبقى أي عنصر مقاومة في المنطقة. هم يرون أن الجمهوريّة الإسلاميّة هي أساس عناصر المقاومة. وقد أدركوا هذه النقطة بصورة صحيحة، هنا مركز المقاومة، هنا المكان الذي حتى لو لم تصدر عنه أي مبادرة، ولا أي كلام، فإن مجرد وجود الجمهوريّة الإسلاميّة هو مصدر إلهام لشعوب المنطقة. إنها وجود هويّة شامخة في المنطقة على الرغم من أنوف كل القوى الاستكبارية، وهي تتجذّر يومًا بعد يوم، وتزداد قوة باستمرار، مجرد وجود هذا البناء العظيم الشامخ إنما هو شوكة في عيون الاستكبار ومبعث أمل للشعوب. نعم، هنا قطب المقاومة، والآخرون استلهموا المقاومة من هنا»[٢].

على ضوء ذلك، تتشكّل علاقة ديناميكية بين الشعوب المستضعفة والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، تمثّل فيها إيران المحور الأساس والفاعل المؤثر في المقاومة العالمية للديكتاتورية الغربية؛ لما تمتلكه من مقومات أتينا على ذكرها سابقًا. وهذه العلاقة يراها الخامنئي أساسية ومحورية في بث الرعب في نفوس الأعداء من خلال نجاحها في إحباط مشاريع الاستكبار وهزيمته في المنطقة.

«... ما قبل الثورة، كان شعبنا وبلدنا أسيرين للثقافة الغربية، ولكن بفضل موقف السيد أصبح التأثير الثقافيّ متبادلًا، بدأ هناك تيار ثقافي يتحرّك في مجتمعنا الإسلاميّ نحو الخارج بنحو بعث الرّعب مرات

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٢/١١/١٨.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٩/١/٨.

عديدة في قلوب زعماء الاستكبار، وما زالوا يعبّرون عن رعبهم ذاك في تصريحاتهم التي يدلون بها في الوقت الحاضر، ويتّهموننا فيها بمحاولة تصدير الثورة، في حين أننا لم نغلّب ثورتنا حتى نصدّرها إلى أي مكان. غير أنّ ذاك الكلام كان يقصد به هذا التيار الثقافيّ الذي أخذ ينتشر في البلدان الإسلاميّة وحتى غير الإسلاميّة ويبثّ فيها الوعي»[١].

إلى جانب ميزة «الانتشار الثقافيّ» وتأثيره في ثقة الجماهير والإيمان بمشروعها التحرري، يلحظ الخامنئي جانبًا آخر من ديناميكية العلاقة بين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وبين الشعوب عبر الإضاءة على خطورة تراجع الجمهوريّة الإسلاميّة عن شعاراتها وانحنائها أمام تهديدات الاستكبار العالمي وتأثير ذلك على إرادة الشعوب في مواصلة مسيرتها المقاومة.

«... أن بذرة الأمل التي نثرت في قلوب الشعوب وزرعت وسُقيت ونمت وأثمرت كانت ناشئة من ثبات شعب إيران، لو أن شعب إيران تراجع، لو أننا تخلّينا عن شعاراتنا، لو أننا انحنينا أمام تهديدات الاستكبار العالمي وتهويلاته وضغوطاته، لكانت ورود الأمل هذه والتي نمت وترعرعت في قلوب الشعوب قد ذوت وماتت»[٢].

تُحيلنا رؤية السيد الخامنئي الاستشرافية لمستقبل الحضارة الإسلاميّة مع لحاظه ديناميكيات العلاقة التفاعلية بين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وشعوب العالم إلى التفكير في ما يُسمّى بـ«أمن ثقافي مركب»، على شاكلة الأمن الإقليمي المركب، حيث تُشكّل فيه الجمهوريّة الإسلاميّة

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١.
(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٥.

الإيرانيّة القوة المركزية التي تتفاعل معها الشعوب الأخرى. يهدف الأمن الثقافيّ المركب من جهة إلى حفظ انتشار التيار الثقافيّ الثوري المقاوم للاستكبار لشعوب العالم، ومن جهة أخرى يُحصّن الشعوب المتطلّعة إلى الاستقلال الثقافيّ والسياسي والاقتصادي من الذوابان والاستسلام لصالح القوى الاستكبارية.

وعليه، يُصبح من المُهمّ عند التفكير في إستراتيجية أمن ثقافي للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة لحفظ القيم الثورية والوصول إلى تحقيق أهدافها الكبرى لحاظ البُعد الخارجي والتّفاعلي للظّاهرة العلائقية الثقافيّة بينها وبين شعوب العالم، كأن تضع استراتيجية أمن ثقافي مركب، لها إجراءاتها وبرامجها وإستراتيجياتها التفصيلية. لا يتّسع المقام هنا إلى ذكر بنودها وعناوينها ومحدّداتها، لما تشكله من مبحث خاص بحدّ ذاته له اشكالياته الخاصة والمتعدّدة المرتبطة بعلاقة الجمهوريّة الإسلاميّة وشعوب العالم الأخرى وأساليب التفاعل معها والتحديات التي تعترضها، وهي تحتلف حكمًا باختلاف السياقات الجغرافية والثقافيّة والسياسية.

ولكن يمكننا الافتراض بـأنّ هناك مجموعة عوامل تتحكّم في ديناميكية التفاعل داخل فواعل الأمن الثقافيّ المركّب وهي تتحدّد في مجموعة متغيّرات استطعنا استخلاصها من خطاب السيد الخامنئي:

١. **عدوّ مشترك:** يُعزّز إدارك الفاعلين المشترك للتهديدات وسبل مواجهتها إلى تحفيز العلاقة التفاعلية بينها وبين الجمهوريّة الإسلاميّة. والعدوّ المشترك يتمثل بحسب أدبيات السيد الخامنئي بالاستكبار الغربي الناهب لثروات الشعوب والساعي إلى إبادة ثقافتها وتجريدها من هويتها وتاريخها للاستحواذ عليها وإحكام السيطرة عليها.

«... من هم الأعــداء العالميون؟ إنهم من نسمّيهم الاستكبار العالمي، الاستكبار العالمي هم كل عتاة العالم، وكل الأشقياء والوقحين المسيطرين على الشعوب».

٢. مشروع مشترك: يؤدي عامل وحدة المشروع بين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وبين الشعوب إلى تعزيز العلاقة التفاعلية فيما بينهما، وبلوغها مستوى عال من التنسيق والتعاون في سبيل تحقيق العدالة والمطالبة بالاستقلال الثقافيّ والسياسي والاقتصادي، وكسر الهمينة الغربية وصدّ محاولاتهم المستمرة في الإبادة الثقافيّة لهويات الشعوب. استشهد السيد الخامنئي لتثبيت الفكرة بتجربة نيلسون مانديلا في أفريقيا الجنوبية، حيث التقاه الأخير في إيران، ونصحه الخامنئي باتباع تجربة إيران الثورية من خلال إنزال الناس مكشوفي الوجه إلى الشوارع على نحو يعجز فيه النظام على مواجهتهم أو الصدام معه.

«... امتلأت كل شوارع المدن الكبيرة في أفريقيا الجنوبية بالزنوج، وشاركهم بعض البيض، فتظاهروا معهم، وقالوا نحن أيضًا نعارض دولة التمييز العنصري، فكانت النتيجة نفس النتيجة، أي أن الذي كان على رأس السلطة وجد أنه عاجز وغير قادر أبدًا، فغادر ووضع شخصًا آخر مكانه، ووجد هذا الثاني أيضا أنه عاجز عن ذلك، فسلّموا السلطة للزنوج عبر نقل هادئ للسلطة، وأصبح مانديلا نفسه رئيسًا للجمهورية. هذا الحدث الممكن التقليد والاستلهام، وهذا النموذج الذي تم تقديمه للشعب من أجل تحريره تحقّق على يد الشباب الإيراني في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين للميلاد»[١].

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢ .

«... جميع من كانت لديهم أفكار مثالية للبشرية، قضية العدالة والإنسانية وتكريم الإنسان، والمساواة بين البشر وتساوي الأعـراق، وضرورة الكفاح والتصدّي لمنطق القوة الدولي، والذين حملوا في قلوبهم كلامًا لكنهم لم يتجرؤوا على طرحه، أو لم يجدوا الفرصة والإمكانية اللازمة لطرحه، لاحظوا أن نظامًا سياسيًا متماسكًا يقوم في مكان ما من العالم، ويكتب هذا الكلام على اللافتات ويرفعه أمام أنظار الجميع، كان هذا شيئًا خارقًا بالنسبة لهم»[1].

٣. **الاعتقاد الديني والإيمان الروحي:** يرى السيد الخامنئي أنّ الثورة الإسلاميّة أحدثت تأثيرًا على المستوى العالمي، من ناحية لفت النظر وإعادة التفكير في قوة الدين في تعبئة الجماهير نحو تحقيق مطالبها وتوجيه ضربة قاسية للنظام الاستكباري المدعوم دوليًا وتشكيل نظام يقوم على رسالة جديدة ومنظومة قيم جديدة تشترك مع قيم ومطالب الكثير من شعوب العالم. يستشهد السيد الخامنئي للتأكيد على هذه الحيثية بحالة النمسا، حيث بدأت حركة تضامن بعد أشهر من انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بسلسلة تحركات تطالب الحكومة النمساوية الشيوعية بالسماح لهم بفتح الكنائس لإقامة مراسمهم الدينية، وذلك بعد مرور ما يقارب ثلاثين عامًا ونيف على نبذ النظام الشيوعي للدين.

«... لم تعد الشعوب تتمسك بالمعتقدات الدينية في إيران وحدها، أو الدول الإسلاميّة، بل تنامى الاعتقاد الديني والإيمان الروحي عالميًا في أوساط المجتمعات التي قضت عشرات السنين في أجواء ملؤها العداء للدين. وسيكون مستقبل التحرّك بنحو كلما ازدادت جاذبية بالنسبة

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠١/١١/٣.

للشعوب. لقد ولّى الزمن الذي كان فيه الدين يعدّ مناقضًا للقيم وهدفًا للسخرية، فما يتنافى مع القيم الآن هو التخلّي عن الدين والإيمان، والابتعاد عن الاعتقاد الروحاني»[١].

٤. ديانة مشتركة: تزيد ديناميكية التّفاعل بين الجمهوريّة الإسلاميّة والشعوب الإسلاميّة بشكل أكبر من الشعوب غير الإسلاميّة، وكان لهذه الحقيقة مؤشرات استدلّ عليها السيد الخامنئي مرارًا وتكرارًا في خطاباته في معرض حديثه عن آثار الثورة الإسلاميّة في شعوب العالم الإسلاميّ. هو توصّل إلى خلاصة أنّ الثورة الإسلاميّة في إيران خلقت صحوة إسلاميّة في بلدان العالم الإسلاميّ، عبر نجاحها في إحياء الهويّة الإسلاميّة لدى المسلمين، خاصة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي شهدت استعمارًا لسنوات طويلة، فوجدت في انتصار الثورة الإسلاميّة بداية عهد جديد للمسلمين. وهذا بدوره، بثّ الهلع في صفوف الاستكبار والقوى الغربية التي وجدت في انتشار الصحوة الإسلاميّة تهديدًا استراتيجيًا لمصالحها في المنطقة.

«... لم تكن الثورة الإسلاميّة تغييرًا يحدث في داخل البلد فحسب، بل خلقت ثقافة تركت تأثيراتها على الأذهان في كافة البلدان الإسلاميّة بدرجات مختلفة، خصوصًا أذهان الشباب والمثقفين والجامعيين. لا شك أنكم سمعتم عن ميول شريحة الشباب في البلدان الإسلاميّة نحو الثورة والسيد وقيم الشعب الإيراني وصموده، بيد أنّ ما سمعتموه أقل بكثير من الموجود على أرض الواقع، فقد أضحى التفكير الإسلاميّ

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٠/٦/٤.

وفكر الصحوة الإسلاميّة والعودة إلى الإسلام والتمسّك به أمرًا راسخًا في الأذهان»[١].

... لا نزال في بداية الطريق، ولا تزال أمامنا أعمال كثيرة وعظيمة وخطوات واسعة. الحق أن العالم الإسلاميّ بحاجة إلى قيادة، وهذا الشعب هو الذي يجب أن يتولّى هذه القيادة... لقد استطعنا المقاومة، ونستطيع ذلك بعد الآن أيضًا. هذا هو الشهيد، هذا هو النموذج...، هذا ما سيكون دربًا في العالم للمتفرّجين كي يروه... هناك من يتجرّؤون ويسير فيه، ولكن قد لا يكون هناك من لا يتجرّأ على السير فيه... على كل حال الدرب مفتوح، وهذا هو المهم أن يكون هناك درب مرسوم مشرع»[٢].

٥. **المظلومية:** يشكل الدفاع عن حقوق المظلومين والمستضعفين وصية السيد روح الله الخميني، ما يستلزم من الجمهوريّة الإسلاميّة قيادة ومسؤولين مواصلة هذا النهج عبر توفير كافة أشكال الدعم والمناصرة، وهذا بدوره يساهم في توليد علاقة بين الجمهوريّة الإسلاميّة والمظلومين في العالم.

«... الدفاع الصريح عن حقوق المظلومين هو منهج السيد وخطه وأسلوبه ووصيته... على السلطات الثلاث ومسؤولي البلاد أن يجعلوا وصية السيد برنامج عملهم»[٣].

---

(١) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٢.

(٢) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٠/١/٤.

(٣) من خطاب له بتاريخ ٢٠٠٨/٦/٢.

«... في أي مكان يعاني ويئن مظلوم من ظلم الاستكبار، فسوف نناصر ذلك المظلوم ونتحيّز له كيفما نستطيع»[١].

٦. ولاية الفقية: يتّبع عدد لا بأس به من الشعوب الإسلاميّة السيد الخامنئي بوصفه الولي الفقيه، الجامع للصفات والمؤهلات التي تمكّنه بحسب العقيدة الإسلاميّة من قيادة شؤون المسلمين وإدارتها في عصر غيبة الإمام المهدي [عجّل الله تعالى فرجه الشريف]. ينشأ عن ولاية الفقية مسؤوليات والتزامات متبادلة بين الولي الفقيه والشعوب حدّدها السيد الخامنئي في إحدى خطبه في مسجد السيد الحسن التي خصّصها لشرح مفهوم الولاية. فسّر الخامنئي الولاية وفق القرآن بأنها تعني ارتباط مجموعة من الأفراد في جبهة واحدة، انطلاقًا من فكر واحد، لتحقيق هدفهم المشترك، وتحصين أنفسهم من الذوابان في الجبهة المعارضة المعادية. إلى جانب هذا البعد الذي أسماه بالبعد الداخلي المرتبط بالأمة الإسلاميّة في داخل مجتمعاتها، أوضح الخامنئي أن لمفهوم الولاية بعد خارجي يرتبط بعلاقة الأمة الإسلاميّة بالمجتمعات الأخرى، فهو يرى أن علاقات الأمة الإسلاميّة بغيرها يجب أن تنتظم وفق قاعدة تحفظ استقلال الأمة وتصون شخصيتها وكرامتها وهويتها، وتسد الطريق عن العدو للاستغلال أو الاستثمار.

في رأيه، هذان البعدان لا يتحققان إلا بوجود قوة مركزية ترتبط بها القوى الداخلية وتسير على خطى ما تصدره من أوامر، وهو المتمثل بالولي، على أن يكون الارتباط به فكريًا وعمليًا، بالتالي تتكثّف العلاقة بين الجمهوريّة الإسلاميّة ممثلة بقيادة السيد الخامنئي والشعوب التي

(١) من خطاب له بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٣٠.

تتبعه بوصفه الولي الفقيه، وتتّخذ أبعادًا أكثر وأشمل من العوامل الأخرى لارتباطها في كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافيّة بما يضمن شخصيتها وكرامتها وهويتها، ويسدّ عنها طريق الاستغلال من قِبل القوى الاستكبارية الغربية.

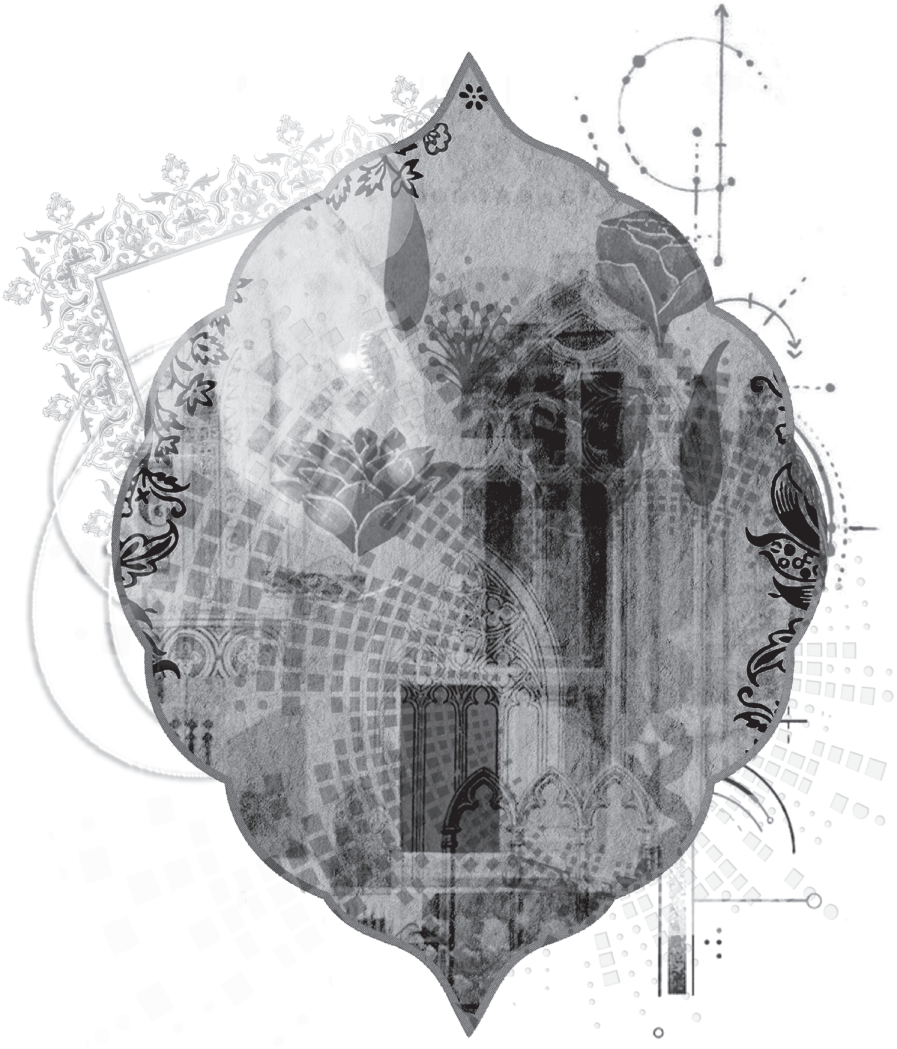

الخاتمة

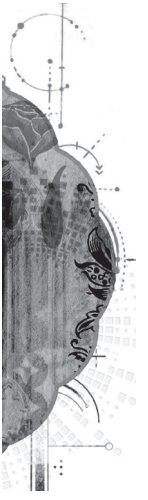

انطلقت فكرة دراسة القضية الثقافيّة من منظور أمني عند ملاحظتنا استخدام السيد علي الخامنئي مصطلحات عسكرية في توصيفه وجه الصراع مع القوى الاستكبارية في القرن الواحد والعشرين، ودعوته الدائمة للمسؤولين والجهات المعنية إلى ضرورة الاهتمام بالمسألة الثقافيّة لتحصين الثورة وقيمها كشرط أساس لتحقيق أهدافها الكبرى المتمثلة ببناء الحضارة الإسلاميّة.

وكتحليل أوّلي، تبيّن لنا أنّ السيد علي الخامنئي يقوم بأمننة القضية الثقافيّة عبر تشخيصه التهديدات والمخاطر بمفردات عسكرية، كالهجوم والتهديد والخطر، فضلًا عن دعوته المستمرة للمؤسسات باتخاذ التدابير اللازمة لاحتواء المخاطر ومواجهتها.

من هنا، تبلورت إشكالية البحث الأساسية: كيف ساهم السيد الخامنئي عبر الخطاب في أمننة القضية الثقافيّة؟

ولّدت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات، كل تساؤل أحالنا إلى حقل من الاختصاص لإيجاد تفسير وإجابة علمية تساعدنا في مقاربة الموضوع بطريقة معمّقة وشاملة. لجأنا إلى اختصاص العلاقات الدولية لمعرفة كيف تحوّلت الهويّة الثقافيّة إلى رهان أمني، وإلى موضوع صراعيّ في

الخطاب بين الأطراف المتصارعة في القرن الواحد والعشرين. إلى ذلك، رسونا على حقل علم الاجتماع والإنتروبولوجيا لتحديد معالم القرن الجديد وتأثير العولمة على الدول، وكيفية تعاطي الأخيرة مع محاولات الإبادة الثقافيّة وإلغاء خصوصية هويتها الثقافيّة في عصر أُطلق عليه سمة «العنصرية التفاضلية» و«الاستعمار ما بعد الحديث». كما وظّفنا نظرية الأمننة التابعة لحقل الدراسات الأمنية لمعرفة الآليات المعتمدة في أمننة القضايا وعزّزناها في علوم الإعلام والاتصال بأدواته ومفاهيمه لدراسة دور الخطاب كفعل كلامي له آلياته وإستراتيجياته الإقناعية لإحداث التأثير في الجمهور.

مجموعة مقاربات نظرية من حقول معرفية متعدّدة تكاملت فيما بينها للإجابة على إشكالية البحث. توزّعت الإجابة على أربعة فصول، خصّصنا الفصلين الأول والثاني لتبيان مفاهيم الدراسة وتوضيح المقاربات النظرية لنوظّفها في الفصلين الثالث والرابع في منهجية تحليل خطاب السيد الخامنئي.

في الفصل الأول، استعرضنا أبرز التحوّلات التي شهدها العالم مع انطلاقة عصر العولمة عقب انتهاء الحرب الباردة، وكيفية انخراط الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع، وتحوّلها إلى رهان أمني في العلاقات الدولية عبر إطلالة موجزة في المبحث الأول على أهمّ المدارس النظرية التي عالجت العلاقة التفاعلية بين الأمن والهويّة. كما عرّفنا مفهوم الأمن الثقافيّ، واستخلصنا من مجموعة دراسات وأبحاث أهم عناصر الخطط والإستراتيجيات المتّبعة لتحقيق الأمن الثقافيّ.

أما في الفصل الثاني، فقد وضّحنا نظرية الأمننة، مفاهيمها وأهم عناصرها، وسياق تشكّلها، وأبرز الخلاصات والنتائج التي توصّلت إليها

مدرسة كوبنهاغن في دراسة دور الخطاب في عملية الأمننة، كما بيّنا تصوّرها الجديد حول مفهوم الأمن كبناء اجتماعي دائم التشكّل، يختلف باختلاف السياق ويرتبط بتصورات وإدراك الفاعلين الأمنيين.

في الفصل الثالث، بيّنا سياق تحوّل الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكيّة والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة من إطـاره العسكري إلى إطار الحرب الناعمة، مستعرضين بشكل موجز أبرز أهدافها وأساليبها كما جاءت في خطاب السيد الخامنئي. انتقلنا بعد ذلك إلى إبراز دور الخطاب في إعادة إنتاج الهويّة، لننطلق منها لاستخلاص آليات إنتاج الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة في خطاب السيد الخامنئي، والكشف عن الدلالات والوظائف الجديدة الممنوحة لها ربطًا بالصراع الثقافيّ مع القوى الاستكبارية الغربية. كما سلّطنا الضوء على مفهوم الدفاع عن الهويّة كـ«فعل الخطاب»، وكخيار سلوكي منطلق من محددات ومعايير تفرضها الهويّة الثقافيّة ذاتها، وكاتّجاه فكري وسلوكي يتّصف به خطاب السيد الخامنئي خلال حديثه عن المعركة الثقافيّة وآليات المواجهة.

في الفصل الرابع، كشفنا آليات وأساليب السيد الخامنئي في أمننة القضية الثقافيّة، وتوصّلنا إلى بناء نموذج لإستراتيجية الأمن الثقافيّ عبر تفكيك خطابه وإعادة هيكلة المفاهيم المستخلصة منه وضمّها ضمن عناوين تشكّل العناصر الأساسية لرسم إستراتيجية أمنية وإعادة تسميتها وفق المفاهيم التي صاغها السيد الخامنئي في الخطابات.

أما على صعيد نتائج البحث، فقد وجدنا أنّ بنية خطاب السيد الخامنئي حول الغزو الثقافيّ والحرب الناعمة ترتكز على علاقة تصارعية بين هويتين: الهويّة الأولى تجسّد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وما تمثله

من ثقافة إسلاميّة ثورية مقابل هويّة معادية تعود لنظام الهيمنة وجبهة الاستكبار التي تتمظهر في عصرنا الحالي بالولايات المتحدة الأمريكيّة والحركة الصهيونية. ارتسمت ديناميكة الصراع بين الهويتين في خط موجّه من جبهة الاستكبار ضد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة ونظامها الإسلاميّ، ما يستوجب من الثانية التصدّي والدفاع، ثمّ الانتقال إلى مرحلة الهجوم العكسي، وصولًا إلى تحقيق المرحلة الأكثر تقدّمًا، وهي قطع الطريق على العدوّ أمام تحقيق أهدافه، والتي اصطلح عليها بمفهوم «الردع».

وفي سياق متصّل، أظهرت نتائج البحث أن السيد الخامنئي يعيد بناء الهويّة الثقافيّة للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة وفق إطار إستراتيجي مرتبط بالصراع الثقافيّ مع الاستكبار والقوى الغربية. فأبرز بُعد الهويّة الديناميكي من خلال ربطها بجذورها وأصولها في الماضي وتحديد دورها الحاضر في قلب الصراع الحضاري مع الاستكبار الغربي، ورسم أفقها المستقبلية بالوعود المفتوحة على المستقبل التي ترنو الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إلى تحقيقها وإنجازها. وعلى ضوء ذلك، توصّلنا إلى تحديد ثلاث آليات أساسية وظّفها السيد الخامنئي في إعـادة بنائه الإستراتيجي للهويّة الثقافيّة؛ تمثّلت الآلية الأولى ببناء خصائص الهويّة على مستوى الذات وعلاقتها مع الآخر، والآلية الثانية تقوم على تبيان فعل الهويّة الثقافيّة داخل الجمهوريّة الإسلاميّة، وكذلك على صعيد دورها ومكانتها في العالم، أما الآلية الثالثة فتتمحور حول تكريس الدفاع كخيار سلوكي لازم وواجب للدفاع عن الهويّة الثقافيّة؛ لما تشكله من رأس مال معنوي ورافعة أساسية للتقدّم والتطوّر وتحقيق الأهداف الإستراتيجية الكبرى.

اتّبع السيد الخامنئي عند إبرازه معالم هويّة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة الثقافيّة تقنية تكوين نسيج متفاعل بين الجدليات التي يثيرها الاستكبار الغربي فيما يخصّ ثقافة البلد الإسلاميّة، وكذلك على تفكيك الصورة التي يُشكّلها الغرب عنها، معيدًا تعريف المفاهيم وإبـراز المغالطات التي ألصقها الغرب بها، فأظهر الهويّة إسلاميّة متديّنة، تجمع بين الدين والعلم، والدين والسياسة، وقدّمها على أنّها ثورية حيّة ذات مشروع تسعى إلى بناء الحضارة الإسلاميّة والسعي إلى انتشارها في أرجـاء العالم، عبر اتّباعها نهجًا أصوليًا عقلانيًا يقتضي اتباع سياسة متشدّدة مع الأعـداء، مقابل سياسة الوحدة والتجانس مع الأقليات، والتبادل الثقافيّ مع الحضارات الأخرى.

أما بخصوص نتائج البحث المرتبطة بعملية الأمننة، فقد تأكّدت الفرضية التي انطلقنا منها بأنّ السيد الخامنئي يؤمنن القضية الثقافيّة، وذلك لاشتمال خطابه على وحدات أساسية أضفت الصبغة الأمنية على خطابه، وهي وحدات متعارف عليها في حقل الدراسات الأمنية فيما يخص دور الخطاب في عملية الأمننة والتي حصرتها مدرسة كوبنهاغن بالتالي: التهديد الوجودي، الكيان المرجعي المهدد، الفاعل المؤمنن، الخطاب، فعل الخطاب بما يحويه من آليات إقناعية وأساليب لغوية لإحداث التأثير في الجمهور.

وبلحاظ تكراره لهذه المسألة، خاصةً أمام المؤسسات والجهات المعنية، يمكننا القول بأنّ السيد الخامنئي تجاوزَ مرحلة الأمننة إلى مرحلة أكثر تطوّرًا تُدعى مرحلة «مأسسة الأمننة»، حيث تصبح القضية الثقافيّة أولوية إستراتيجية تندرج ضمن عمل المؤسسات، وتتطلب تخطيطًا ورؤية إستراتيجية لمعالجتها، متحوّلًا بذلك من خطاب الطوارئ

والتّدابير العاجلة بفعل الأمننة إلى خطاب إداري إستراتيجي للتحدّيات. خطابٌ نظّرَ فيه السيد علي الخامنئي لمفهوم اقترحه لمواجهة التّحديات الثقافيّة عُرف بـ«الإدارة الجهادية الإستراتيجية»، وهو ركنٌ يشكّل جوهر وصلب إستراتيجية الأمن الثقافيّ التي تَمَكَّنّا من تحديد أركانها وأسسها وتعريفها بعد تحليل مضمون خطاباته الواردة في هذا الإطار. اشتملت استراتيجية الأمن الثقافيّ على عدّة أركان: عقيدة الأمن الثقافيّ، الأهداف الثقافيّة الكبرى، تشخيص العدو، مستويات الخطر وطبيعة التهديد، أسس الإدارة الجهادية وأصولها ومبادئها وتبيان إستراتيجياتها الثلاثة، وأخيرًا الآفاق الإستراتيجية.

وعند التعمّق في ركني «الآفاق الإستراتيجية» و«الأهداف الثقافيّة الكبرى»، وجدنا أن السيد الخامنئي يريد من الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة أداء دور أممي يقوم على بناء الحضارة الإسلاميّة، والسعي نحو انتشارها لتتكامل مع الشعوب الأخرى وتصبح عالمية، محذّرًا من تأثير أي تهديد قد يصيب الجمهوريّة الإسلاميّة ويثنيها عن شعاراتها وقيمها على إرادة الشعوب في مسيرتها نحو التكامل والاستقلال. دفعتنا ثنائية «الانتشار الثقافيّ» و«عدوى التراجع والانكفاء» الحاضرة في خطاب السيد الخامنئي إلى التفكير فيما يسمى بأمن ثقافي مركّب على شاكلة الأمن الإقليمي المركب، حيث تشكّل فيه الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة القوة المركزية التي تتفاعل معها الشعوب الأخـرى. يهدف الأمن الثقافيّ المركب من جهة إلى حفظ انتشار التيار الثقافيّ الثوري المقاوم للاستكبار بين شعوب العالم، ومن جهة أخرى يُحصّن الشعوب المتطلّعة إلى الاستقلال الثقافيّ والسياسي والاقتصادي من الذوبان والاستسلام لصالح القوى الاستكبارية. من هنا، تطرّقنا في بحثنا إلى أهمية وضرورة التفكير في إستراتيجية أمن ثقافي للجمهورية الإسلاميّة

تلحظ بعدها الخارجي والتفاعلي للظاهرة العلائقية الثقافيّة بينها وبين شعوب العالم، وأن يترتب عليها خطط إجرائية وبرامج وعناوين يُعمل عليها. لم نستخلص من خطاب السيد الخامنئي محددات وعناوين هذه الإستراتيجية، لما تحويه من إشكاليات خاصة ومتعدّدة مرتبطة بعلاقة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة وشعوب العالم الأخرى، وأساليب التفاعل معها والتحديات التي تعترضها، وهي تختلف حكمًا باختلاف السياقات الجغرافية والثقافيّة والسياسية. إلاّ أنّنا وكخطوة أولية، بحثنا في العوامل التي يمكن أن تتحكّم في ديناميكية التفاعل داخل فواعل الأمن الثقافيّ المركّب من خطاب السيد الخامنئي، والتي تشكّل فرصًا مهمة تُمكّن الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة من أداء دورها الحضاري مع الشعوب الأخرى.

ختامًا، حاولنا في هذا البحث تقديم تأصيل نظري لتجربة حركة تحررية في وعيها للهويّة الثقافيّة، ودورها في الصراع مع الاستكبار في قرن «الاستعمار ما بعد الحديث»، واستخلاص فكرها لمواجهة التحديات الثقافيّة من خلال دراسة خطاب السيد الخامنئي في موضوع الحرب الناعمة والغزو الثقافيّ. و«إستراتيجية الأمن الثقافيّ» التي توصّلنا إليها انطلاقًا من خطاب السيد الخامنئي قابلة للتعميم على محور المقاومة الـذي يشهد بـدوره حملة إعلامية ممنهجة لفك ارتباطه عن القيم الثورية، على أن يعيد كل طرف من المحور هندسة الإستراتيجية بلحاظ خصوصيته الثقافيّة وسياقاته الجيوسياسية وموقعه في السياسات الدولية.

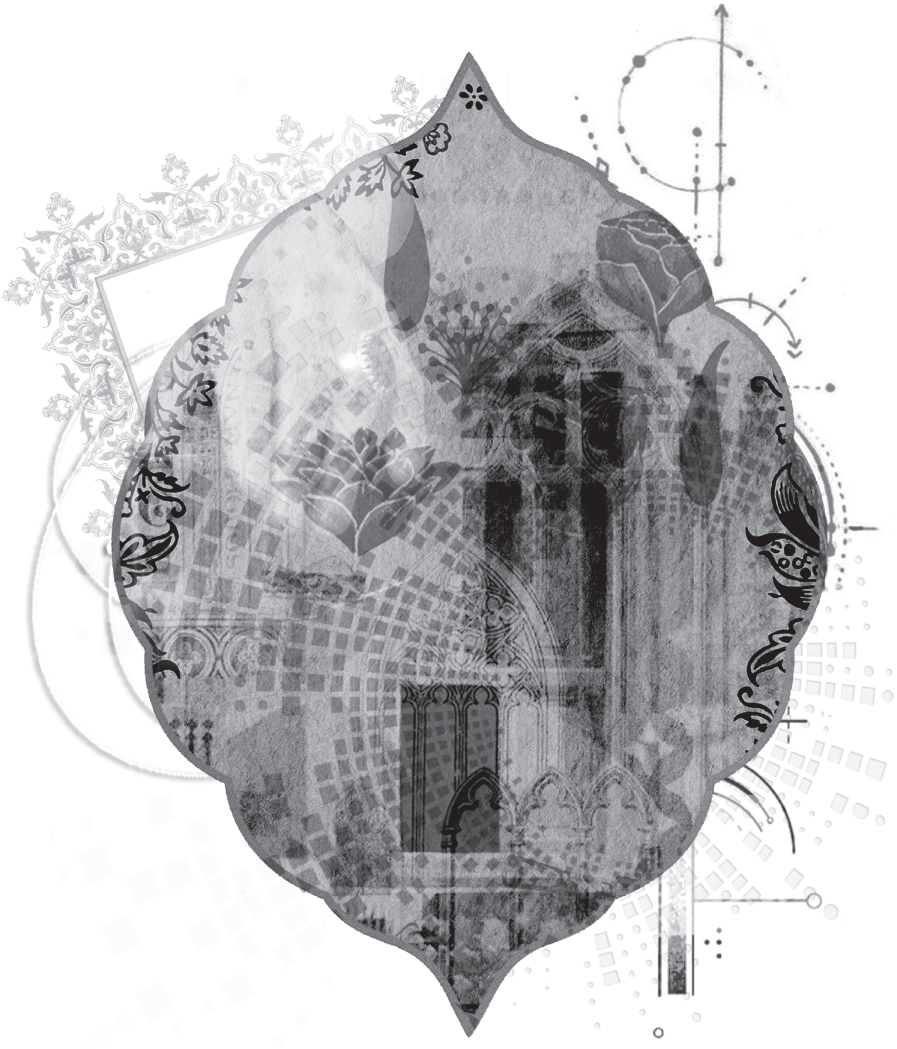

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- السعيد، حجازي محمد، «الإستراتيجية الأمنية في الدراسات الدولية: إطار نظري ومفاهيمي»، مجلة **الدراسات الإستراتيجية والعسكرية**، ٢٠٢٠. تم الاسترداد من:

- الفقي، إبراهيم بن محمد علي، «الأمن الفكري: المفهوم-التطورات-الإشـكـالات»، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتّحديات»، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٩. تم الاسترداد من:

- القحطاني، عواطف بنت يحيى، «متطلبات تعزيز الأمن الفكري لدى

الطالبة الجامعية من منظور طريقة العمل مع الجماعات»، **المجلة العربية للدراسات الأمنية**، ٢٠١٩. تم الاسترداد من:

- الخالدي، بثينة، «هل الأمن الثقافي استراتيجية دفاعية التعليم في تونس نموذجًا»، في: **الأمن الثقافي، دراسات وأبحاث**، ملتقى الأمن الثقافي، الأردن، ٢٠١٩.
- الخامنئي، علي، **الهواجس الثقافيّة في المشروع الحضاري المعاصر**، ترجمة علي الحاج حسن، ط ٢، دار المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠١٥.
- بالة، صباح، «مدرسة كوبنهاغن في تفسير الدراسات الأمنية»، **الموسوعة السياسية**، ٢٠٢٠. تم الاسترداد من:
- بلقزيز، عبد الإله، «في مفهوم الأمن الثقافيّ»، ٢٠٠٩. تاريخ الاسترداد من:

- بن أحمد، محمد، «الفلسفة والأمن الإستراتيجي»، مجلة **التدوين**، ٢٠٢٠. تم الاسترداد من:

- حمشي، محمد، «أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا»، يوم دراسي حول «دور الجزائر كلاعب أساسي في منطقة المتوسط وفي منطقة الساح»، الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، مداخلة غير منشورة، ٢٠١٤. تم الاسترداد من:

- حمياز، سمير، «نحو هندسة استراتيجية فعالة لحماية الأمن الثقافيّ العربي في زمن الرقمنة»، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، ٢٠٢١. تم الاسترداد من:

- خضراوي، خديجة، «التحوّل الأنطولوجي في مفهوم الأمـن: دراسة في إسهامات مدرسة كوبنهاغن»، جامعة أحمد بوقرة بومرداس، كلية الحقوق بودواو، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، مذكرة تخرج

لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص تحليل السياسة الخارجية، الجزائر، ٢٠١٦. تم الاسترداد من:

- **رؤية السيد الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة**، لا ط، مركز قيم للدراسات الثقافيّة، بيروت، ٢٠١١.
- الخامنئي، علي، **سلسلة الثقافة في فكر السيد الخامنئي**، دار المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠١٦.
- شباح، فتاح وبوصوردي، صليحة، «الأمن الثقافيّ ودوره في المحافظة على الهويّة الوطنية»، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، ٢٠٢١. تم الاسترداد من:
- شارودو، باتريك، «الحجاج وإشكال التأثير»، ترجمة ربيعة العربي، **مجلة الحوار المتمدّن**، ٢٠١٢. تم الاسترداد من:

- شارودو، باتريك، «بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير»، ترجمة ربيعة العربي، **مجلة الحوار المتمدّن**، ٢٠١٣ (العمل الأصلي ٢٠٠٨). تم الاسترداد من:

- شرايطية، سميرة وفتيسي، فوزية، «الأمن الثقافيّ في زمن الرقمنة: دراسة في التحديات وسبل الوقاية»، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، ٢٠٢٢. تم الاسترداد من:

- عديلة، محمد الطاهر، «الأمن والهويّة في العلاقات الدولية: قراءة في مضامين وحدود التصوّر البنائي»، مجلة **أبحاث قانونية وسياسية**، ٢٠٢٠. تم الاسترداد من:

- عماد، عبد الغني، **سوسيولوجيا الهويّة جدليّات الوعي والتفكّك وإعادة البناء**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت، ٢٠١٩.

- عطية، سعيد؛ وسليم، حسن، «العولمة وتداعياتها على الأمن الفكري

العربي والإسـلامـيّ»، مجلة **مستقبل العلوم الاجتماعية**، ٢٠٢١. تم الاسترداد من:

- فوكوياما، فرانسيس، «ضد سياسات الهويّة: كيف ساهم «اليسار الجديد» بصعود «اليمين»؟»، موقع الجزيرة نت، ٢٠١٨. تم الاسترداد من:

- قلعي، أمينة، «مدرسة كوبنهاغن: الأمننة ودور فعل الخطاب في تحديد المسألة الأمنية»، **المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية**، ٢٠١٨. تم الاسترداد من:

- قوجيلي، سيد أحمد، **الدراسات الأمنية النقدية مقاربات جديدة لإعادة تعريف الأمن**، ط ١، المركز العلمي للدراسات السياسية، الأردن، ٢٠١٤.

- قوجيلي، سيد أحمد، «فهم الأمننة: مقاربة نقدية للدراسات الأمنية»،

مجلة **شؤون الأوسط**، مركز الدراسات الإستراتيجية، لبنان، ٢٠١٦. تم الاسترداد من:

- الخضيري، زينب، «الأمن الثقافي»، متوفر على الرابط التالي:

- نائيني، علي محمد، **معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة**، لا ط، دار المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠١٦.

- نـوري، عزيزي، «الخطاب الأمني تجاه الإسـلام السياسي في منطقة المتوسط بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١»، لا ط، جامعة باتنة ١، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٨. تم الاسترداد من:

- نوري، عزيزي، «الخطاب الأمني الأورومتوسطي تجاه ظاهرة الإرهاب

بين الأمنة واللاأمننة»، مجلة **الحقوق والعلوم السياسية**، الجزائر، ٢٠١٨. تم الاسترداد من:

- الخامنئي، علي، **نظرية المقاومة**، مؤسّسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث (مكتب حفظ ونشر آثار السيد الخامنئي)، دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر، بيروت، ٢٠٢٠.
- الخامنئي، علي، **معرفة العدو**، مؤسسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث (مكتب حفظ ونشر آثـار السيد الخامنئي)، دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر بيروت، ٢٠٢٠.
- الخامنئي، علي، **العهد العالمي الجديد**، مؤسسة الثورة الإسلاميّة للثقافة والأبحاث (مكتب حفظ ونشر آثار السيد الخامنئي)، دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر، بيروت ٢٠٢٠.
- قسوم، سليم، **الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية دراسة في تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية**، مركز الإمـارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.
- هنتنجتون، صامويل، **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب، ١٩٩٩.
- يلوح، رشيد، **التداخل الثقافيّ العربي-الفارسي، من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري**، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤.

المراجع الأجنبية:

- Gutnik, F. (2002), «Stratégies identitaires,» «dynamiques identitaires,» Recherche & Formation, N°41, p. 119-130. Tiré de:

- Alex Macleod, Isabelle Masson et David Morin, «Identité nationale, sécurité et la théorie des relations internationales,» Études internationales 35 (1) (2004), 7 - 24. Tiré de:

- Mayaffre, D. (2003), «Dire son identité politique,» Cahiers de la Méditerranée, 66 (2003), mis en ligne le 21/7/2005. Tiré de:

- Woton, D. (2005), Sauver la communication, Editions Flammarion, Paris, Champs essais.

- Williams, P. (2008), Security Studies An Introduction, London, Routledge. Tiré de:

- McDonald, M. (2008), Constructivism, In: Williams, P. (Edit), Security Studies An Introduction, (pp. 59-72), London, Routledge.

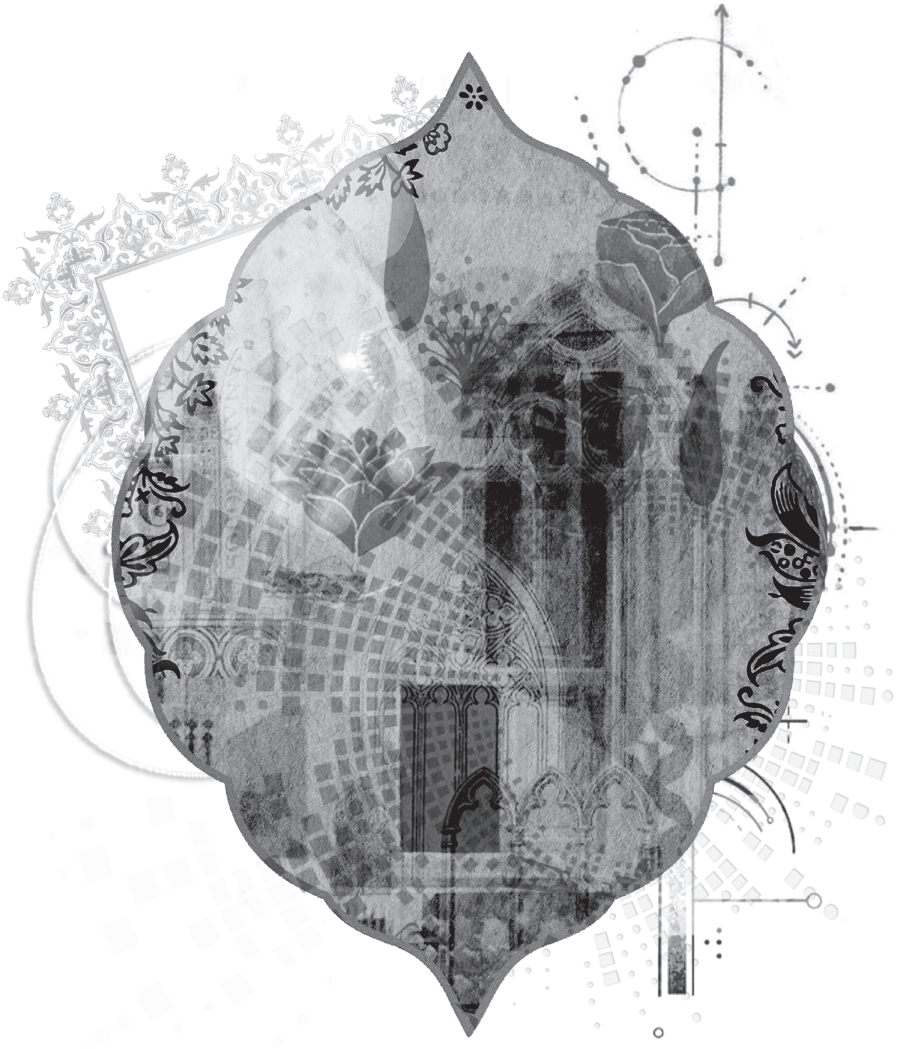

الفهرس التفصيلي

المقدّمة ٩

أهمية البحث ١٤

أهداف البحث ١٦

مفاهيم البحث ١٦

١- الأمن الثقافيّ ١٦

١) الأمن ١٧

٢) الثقافة ١٨

٣) الأمن الثقافيّ ٢٠

الأمن الثقافيّ في فكر السيد الخامنئي ٢٠

٢- الهويّة الثقافيّة ٢١

الهويّة الثقافيّة في فكر السيد الخامنئي ٢٣

٣- المثاقفة ٢٥

٤- الحرب الناعمة ٢٧

٥- الأمن الإقليمي المركّب ٢٨

٦- الإستراتيجية الأمنية ٣٢

الفصل الأول: الأمن الثقافيّ: الهويّة الثقافيّة في قلب الصراع ٣٥

١. الهويّة: رهان أمني جديد ٤٣

٢. الأمن الثقافيّ ٥٥

الفصل الثاني: نظرية الأمننة ٦١

أولًا: تعريف مدرسة كوبنهاغن ٦٩

توسيع «قطاعات الأمن» ٧٠

الأمن المجتمعي ٧٠

الأمن الإقليمي المركّب ٧١

ثانيًا: نظرية الأمننة ٧٤

الأمن كـ«بناء اجتماعي» ٧٤

الأمن كـ «فعل كلامي» ٧٦

تطوّر عملية الأمننة ٧٧

المرحلة الأولى: الأمننة الخاصة ٧٨

المرحلة الثانية: التأثير في الجمهور ٧٨

المرحلة الثالثة: مأسسة الأمن ٨٠

المرحلة الرابعة: مرحلة نزع الأمننة ٨١

الفصل الثالث: الهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ٨٣

١. الحرب الناعمة في خطاب السيد الخامنئي ٨٨

أ - الأهداف الثقافيّة للحرب الناعمة ٩٢

ب - الأهداف السياسية للحرب الناعمة ٩٣

٢. آليات البناء الإستراتيجي للهويّة الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ٩٦
الطرح الأوّل: الهويّة هي مسألة خطاب ٩٦
الطرح الثاني: الخطاب مسألة هويّة ٩٧
الآلية الأولى: بناء معالم الهويّة ٩٨
خصائص الهويّة على مستوى الذات ٩٨
١. هويّة إسلاميّة متديّنة ٩٩
٢. هويّة وطنية وإسلاميّة ١٠١
٣. هويّة دينية وعلمية ١٠٢
٤. هويّة مُتجدّدة (هويّة حيّة) ١٠٣
أ - الثقافة الجهادية ١٠٤
ب - الإيمان بصوابية نهج السيد الخميني والالتزام به ١٠٥
ت - حركة الجماهير ١٠٨
ث - جاذبية شعارات الثورة ١٠٩
٥. هويّة ثورية ذات مشروع ١١١
خصائص الهويّة على مستوى العلاقة مع الآخر ١١٣
١. هويّة أصولية ١١٤
٢. هويّة مقاومة ١١٧
٣. هويّة مناصرة لمظلومي العالم ١١٩
٤. هويّة مؤثرة ١٢٠
٥. هويّة متحضّرة ١٢٢
الآليّة الثانية: تبيان فعل الهويّة ١٢٣
الآلية الثالثة: الدعوة إلى الدفاع عن الهويّة الثقافيّة ١٢٩

الإطار المفاهيمي للفكر الدفاعي عند السيد علي الخامنئي ١٣٠
خصائص «الدفاع» في خطاب السيد الخامنئي ١٣١
١. رد فعل واجب ومستمر ١٣١
٢. فعل مشروع ١٣٢
٣. شامل ١٣٣
٤. شعبي ١٣٤
أسس الفكر الدفاعي لدى السيد الخامنئي ١٣٤
١. الفلسفة الإسلاميّة ١٣٥
٢. الإيمان الديني ١٣٦
٣. السنّة الإلهية ١٣٧
٤. الحقائق القرآنية ١٣٨
٥. الحقائق التاريخية ١٣٩
أ - تاريخ النضال الإسلاميّ ١٣٩
ب - التجارب التاريخية ١٤١
٦. النّهج الخميني ١٤٢
٧. الوعد الإلهي ١٤٣

الفصل الرابع: أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ١٤٧

١. أمننة القضية الثقافيّة في خطاب السيد الخامنئي ١٥١
وحدات عملية الأمننة في خطابات السيد علي الخامنئي ١٥٣
١- التهديد الوجودي ١٥٤
٢- الكيان المرجعي المهدّد ١٥٦
٣- الفاعل المؤمنن ١٥٦
٤- المخاطَب ١٥٨

٥- الفعل الخطابي ١٥٩
مأسسة الأمننة ١٦٣

٢. نموذج «استراتيجية الأمن الثقافيّ» وفق رؤية السيد علي الخامنئي ١٦٤
١- عقيدة الأمن الثقافيّ ١٦٥
٢- الأهداف الثقافيّة الكبرى ١٦٧
٣- تشخيص العدوّ ١٦٩
٤- مستويات الخطر وطبيعة التهديد ١٧٠
٥- الإدارة الجهادية الإستراتيجية للتحديات الثقافيّة ١٧١
أ - نموذج الإدارة الجهادية الإستراتيجيّة ١٧٣
ب - استراتيجيات «الجهاد الثقافيّ» ١٧٥
٦- آفاق إستراتيجية | أولويات إستراتيجية ١٧٩

٣. نحو أمن ثقافي مركّب؟ ١٨١

الخاتمة ١٩٣

المصادر والمراجع ٢٠٣

الفهرس التفصيلي ٢١٥